من أدب المشرق والمغرب

بقلم المستشار:

فوزى عبد القادر الميلادى

مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(كتاب الشباب)

من أدب المشرق والمغرب

فوزى عبدالقادر الميلادى

الغلاف:

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مصر

محمود تيمور والمسرحية القصيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمود تيمور والمسرحية القصيرة

اللغة الفصحى هى اللغة المناسبة للطبع والنشر ... واللغة العامية هى اللغة التى تلائم الأداء المسرحى والاذاعى ... الخ . تلك هى فلسفة محمود تيمور فى مشكلة اللغة فى العمل المسرحى فالعرب على حد قوله أهل لغتين لغة كتابة وتدوين والأخرى لغة حديث وخطاب أما الأولى فيشترك فيها العرب على تباين مواطنهم من قديم وحديث وأما الأخرى فتختلف فيها اللهجات بين موطن وموطن وبين عصر وعصر .

من أجل ذلك حرص الأديب الكبير على أن ينشر جل مسرحياته وعلى الأخص الاجتماعية منها بلغتين ف وقت واحد فيضم الكتاب نسخة من المسرحية بالفصحى وأخرى بالعامية .

وعلى هذا الدرب سار تيمور زمنا طويلا حتى عن له أخيرا أن يجمع مسرحياته القصيرة التى نشرها متفرقة ومن قبل بين دفتى كتاب واحد .. ويبدو أنه استشعر ضخامة حجم الكتاب اذا نشره باللغتين معا .. فآثر أن ينشره بلغة واحدة .. ولم تكن كما قد يتوقع الكثيرون الفصحى .. ذلك أن الأديب المجمعى رأى أن يبدأ بنشر المجموعة باللغة العامية واعدا القراء أن ينشر النسخة الفصحى منها فى وقت قريب حتى لا تظل حبيسة نطاق محدود فى بلد عربى واحد .. وقد برر هذا الاتجاه بأن المسرحيات التى يضمها الكتاب هى من المسرحيات « ذوات الموضوعات العصرية والجو المحلى » .

وآثر الأستاذ تيمور أن يسير فى الشوط الى النهاية فجعل لمجموعته عنوانا عصريا فأطلق عليها

« خمسة وخبسة » وبحثت عن الخسة والخميسة بين مسرحات المجموعة الست فلم أجدها •• وفى نهاية الأمر اكتشفت السر فى تسمية المجموعة بهذا الاسم الرنان ــ أو هكذا على الأقل هبىء لى فالخمسة يعنى بها المسرحات الخمس الأولى أما الخسيسة فهى المسرحة السادسة « برقبة » التى وردت فى ختام الكتاب فى ثلاث ورقات ونصف فقط لاغير •

وليست « لغة الحوار » هى الفارق الوحيد بين مسرحيات تيمور الاجتماعية ومسرحياته التاريخية التى نشرها بلغة واحدة هى اللغة الفصحى •• ذلك أن من يمعن النظر فى كلا النوعين من المسرحيات يسترعى انتباهه فارق هام فى البناء الفنى للمسرحية •

فتيمور عندما يكتب مسرحية اجتماعية •• يختار بدقة ومهارة شخصياته من بين النماذج البشرية التى تعيش فى مجتمعنا المعاصر ويدفع بهذه الشخصيات الى بعض المواقف الحرجة أو الطريفة •• وما ان تبدأ الشخصيات فى الاندماج فى المسرحية حتى يتركها تسير

فى طريقها الطبيعى الذى تسير فيه الحياة الاجتماعية ويقف بعيدا يصور بعدسته الفوتوغرافية حركاتها وسكناتها وخلجاتها ويلتقط ما يدور على لسانها من حوار متدفق .. ويخرج فى النهاية بشخصيات رسمت بعناية فائقة وبحوار يتسم بالصدق والبساطة وبتحليل بارع للنفس البشرية فى مختلف حالاتها .. ولكن قليلا ما يخرج بعمل مسرحى متكامل .. ولعل أصدق مثال على ذلك مسرحيته الاجتماعية المخبأ رقم ١٣ .. فالمسرحية من أولها الى آخرها تدور حول تصوير مشاعر مجموعة من البشر يعيشون لحظات الرعب والهلع فى مخبأ يقيهم من الغارات الجوية .. والمسرحية بعد ذلك ليس لها هدف محدد تسير نحوه ولا يرتبط أبطالها الا بأوهى الروابط التى تجمع مجموعة متنافرة من الناس التقت على غير موعد فى ظروف عصيبة ورغم ذلك كله فالمسرحية صورة بارعة ناطقة لأدق خفايا النفس الانسانية وهى تتأرجح بين الخوف والرجاء عندما يفزعها نذير الموت ويهدىء من روعها بشير الأمان .

أما المسرحيات التاريخية فقد أولاها تيمور عناية

تفوق بكثير عنايته بالمسرحيات الاجتماعية فهو يختار لمسرحياته أبطالا يتسمون بالجرأة والشجاعة (عبدالرحمن الداخل ــ امرؤ القيس ــ الحجاج ــ عنتره) ويختار لقطات هامة من سيرتهم يمتزج فيها الواقع التاريخى بمحن وأعاصير تجتاح حياتهم الاجتماعية والسياسية .. ومن خلال صراعهم مع الأحداث والاعداء .. تعمر المسرحيات بالحركة وتنبض بالحياة .

والمؤلف لا يملك أن يترك أبطاله هنا يسيرون ببساطة فى الطريق الذى اختاروه لأنفسهم ويكتفى بموقف التسجيل الفوتوغرافى .. لأنه لو فعل ذلك لخرجت المسرحيات من نطاق الفن والأدب الى مجال السياسة والتاريخ ولجاءت مسرحياته تسجيلا صادقا لأحداث التاريخ فحسب ولكنه ظل يتعهد أبطاله بالعناية والرعاية منذ السطور الأولى وعمد الى تطوير الشخصيات وخلق المواقف العصيبة بل أوجد شخصيات ليس لها أثر فى كتب التاريخ ومع ذلك فقد وجدت مجالها الطبيعى فى سير الأحداث حتى يخيل للقارىء أن

هذه الشخصيات قد وجدت وعاشت فعلا هذه الأحداث ولعل أصدق مثال على ذلك شخصية الاهوازيه التى كان لها أكبر الأثر فى تطوير الأحـداث فى مسرحيـة « ابن جلا » .

من أجل ذلك جاءت مسرحيات تيمور التاريخيـة (صقر قريش ــ اليوم خمر ــ ابن جلا) قمة انتاجـه المسرحى وتختلف عن هـذه المكانه مسرحية (حواء الخالده) التى ترسم صورة من حياة عنترة لأن الطـابع الاجتماعى غلب على جو المسرحية فعنى المؤلف برسم الشخصـيات وتحليلها أكثر مما عنى باحـكام البنـاء المسرحى .

وكنت أود أن يكون بداية حديثى عن مسرحيات تيمور هو عن مسرحياته التاريخيـة لكننى آثرت أن أخصص هذا المقال لمسرحياته القصـيرة التى تضمنتها مجموعة « خمسة وخمسة » لأنه أحدث مؤلف مسرحى صدر له ولأن عنايته بجمع هذه المسرحيات واعادة طبعها ونشرها على هـذا النحو يدل على أنه يولى مسرحياته

اهتماما خاصا من الواجب أن يقابله اهتمام من النقاد والدارســـين .

والآن الى مسرحيات الكتاب ...

« حكمت المحكمة » اولى مسرحيــات المجموعه تروى قصــه قرويــه (نظيمـــه) متزوجــه من جزار (حفنــاوى) وقــد رزقت منه ثلاث بنــات تباعا .. ولمــا حملت فى المره الرابعه انذرها بأنه لن يطيق أن يكون المولود الرابع انثى وأنه اذا حدث ذلك فسيذبح البنت فور ولادتها على باب البيت .. وطوال أيــام الحمل كان لا يفتأ يكرر وعيده ملوحا بسكينه الطويلة التى يحملها بحكم مهنته فى غدوه ورواحه .

ويأتى اليوم الموعود وتضــع نظيمة وليدها فاذا به أنثى .. وتتزاحم الخواطر فى رأســها ويتملكهــا الرعب .. وتزيد الحاجة خطوة القابلة من رعبها فتؤكد لها أن زوجها الجزار لن يتورع عن أن ينفذ وعيده .. وتلعب الريح بالباب فيخيل للزوجة أن زوجهــا مقبل لا محالة لاتمام عملية الذبح فيرتعش جسدها من الخوف

وتأخذ البنت الصغيرة وتجرى بسرعة تاركة البيت وكلما أسرعت فى سيرها هيىء لها أن زوجها يطاردها والسكين فى يده ويصرخ طالبا منها الوقوف والامتثال لأمره .. وتدخل المرأة مزارع القطن وهى تحتضن ابنتها الوحيدة ولايزال يرن فى أذنها صـــوت زوجها يناديها فتهرع الى الساقية وتقف أمامها ثم تفتح ذراعيها وتقول فى وديعة الله يا بنتى فتسمع صوتا لارتطام البنت بالقادوس ... وفى الصباح يعثر الخفير على البنت فاقدة الحيــاة فى الساقية وعلى الأم نائمــة بجوار الساقبة وتساق الأم الى التحقبق وأمــام وكيل النابة يبدأ التحقبق وببدأ حوار المسرحية .

يسألها وكيــل النيابة عن واقعـــة رمى بنتها فى الساقية ..فتعجب لهذه التهمة أشد العجب وتتســاءل كالمذهولة هل من المعقول آن تقتل آم ابنتها .. لقد كانت البنت على حد تعبيرها (عيونها خضر زى البرسيم البدرى وشعرها أسود ناعم زى القطيفة الخفافى .. ووشها أبيض زى القشطة الصابحة) ويقاطعها الخفير

من وقت لآخر فيدخل معه فى مشادة تتهمه فيها بالكذب والضلال .. وفى نوبه ذهول تروى فى كلمات منقطعة القصة كما عرضناها .. ويطمئن المحقق الى أنه أتم مهمته باعتراف الام الكامل بالجريمه وملابساتها لكنه يفاجىء بها بعد ذلك تستغرق فى غيبوبة قصيرة تفيق بعدها وهى لا تذكر شيئا مما قالته .. بل ولا تعرف لماذا توجد فى ذلك المكان .. وتتساءل اين هى فيجيبها الخفير فى غلظه (انتى فى النيابه .. قدام حضره الباشا) فتصيح مذعوره (النيابه .. النيابة ليه .. سرقت سريقه .. قتلت قتيل ..) فيجيبها وكيل النيابه (أيوه قتلتى بنتك) فتصيح (بنتى . ؟ . ؟) ولما يعجب المحقق من انكارها المفاجىء بعد أن اعترفت صراحة أمام الجميع بفعلتها تهمهم (انكر .. انكر ازاى .. انكر ليه .. بقى حاصدق نفسى واكذبكم كلكم يا حضرة القاضى .. عيب .. عيب ..) وعلى هذا المنوال من الانكار الممزوج بالاعتراف أو الاعتراف المشوب بالانكار يسير الحوار فى المسرحية .. وفى النهاية تطأطىء رأسها

فى استسلام ثم ترفعها بغتة وتدور بنظرات منحيرة تلسع خيالا وتصيح (أنا آقتل بنتى •• بصوا لى كويس •• أنا وش فنل يا ناس يا أهل الخير •• قولوا كلمة عدل •• مافيش حد فيكوا يحب الحق •• بقى ستسكونى وتقولوا على انى قاتلة وتسيبوه هو الجزار اللى ايديه تسلى فى الدم •• يا ناس قولوا لى بتعملوا فى كده ليه •• فهمونى الحكايه ايه • فين البنت •• ما تتكلموا وتحكوا لى اللى حصل ••) •

وتستمر فى صياحها حتى تختم آقوالها والمسرحية كلها بهذه الكلمات (الحفناوى قتل العروسة الصغيرة أم عيون خضر وسعر أسود هو ده يخلص من الله •• الله لا يسامحك يا حفناوى ربنا يسلط عليك اللى ينتقم منك) •

هذه المسرحيه ــ فى اعتقادى ــ كانت فى الأصل قصه قصيرة عاشت فى دهن تيمور أو فى ادراج مكتبه ولما رأى أن يخرجها الى النور استهواه الحوار الذى ينبع من صميم المأساة التى تعيشها الأم الثكلى التى

بلغ بها الحرص على ابنتها مبلغا طغى على كل ما عداه حتى انزلقت فى نهاية الامر الى رميها فى الساقية فى لحظة ذهول أو جنون وهى تظن أنها بذلك تباعد بينها وبين أبيها الذى يعتزم ذبحها بالسكين ٠

أقول استهوى تيمور هـذا الحوار الطريف الذى انساب على لسان القروية الساذجة فآثر أن ينسحب كقصصى من الساحة وأن يطلق للقروية العنان فى التعبير عن خلجات نفسها يبادلها الحديث من وقت لآخر محقق ذكى متزن تمرس بالقضايا والتحقيقات ويقاطعها من لحظة لأخرى خفير نظامى يظهر الولاء للسلطة ممثله فى وكيل النيابة والتشدد مع المتهمين بخرق القانون ٠

وعلى هذا النحو جاءت المسرحيه حوارا قصصيا أو قصة حوارية ٠٠ فهى وان كانت تمثل لقطة انسانية بديعة الا أنها مع ذلك تفتقر الى كثير من مقومات العمل المسرحى ٠

فالمسرحية تصور موقفا ولا تعالج موضوعا تصور موقف انسانه حزينة ذابلة أمام سلطان القانون وقـد

اختلت في ذهنها الصور والأفكار والمعايير ولايمكن القول بأنها تعالج موضوعا متكاملا .. حتى ولو كان هذا الموضوع هو مشكله انجاب البنات في الريف وموقف الآباء والامهات منها فالمسرحية لم تعرض جذور المشكلة .. لماذا يعارض الآباء في انجاب البنات .. وما هو موقف المجتمع الريفى من هذه المشكلة بصفة عامه .. كما لم تبرز الحلول المناسبه لها .. وما كان للمسرحيه أن تتضمن شيئا من ذلك في الاطار الذى قدمت فيه .. فالمؤلف لم يظهر شخصية الزوج ولا القابلة على مسرح الأحداث اطلاقا كما جاء مسرح الأحداث نفسه قاصرا على حجرة وكيل النيابة وكان في امكان المؤلف أن يعرض صورا من الحياة في الريف يعرض مناظر من منزل الزوجة والحقل والساقية خلال الحوار الذى دار في حجرة التحقيق باستعمال بعض الجمل المسرحية المعروفة .. والمسرحة على هذا النحو يمكن اعتبارها شريحة أو مشهدا من مسرحية ذات فصل واحد متعددة المشاهد والكلام عن الموضوع يسوقنا الى الحديث عن الحركة وتطوير الشخصيات فكلام

المرأة القروية وان كان ينبض بالحرارة الا أن حديثهـا لم يستطع ان يبعث الدفء والحيـاة فى حوار وكيـل النيابه والخفير النظامى وفى تصرفاتهما •• فجـاءت المسرحيه رتيبه خالية من الحركه والحياة •

شخصينا وكيل النيابـه والخفير قطعا شخصيتان سلبيتان غير متطورين •• شخصية الام تطورت خلال منافسه وكيل النيابه لها وخرجت من مرحـله الذهول والانكار الى مرحله الاعتراف •• ولكنها قبيل نهايـة المسرحيـه تعود فتلبس ثوبهـا الأول ثوب الذهول والانكار وان كان هـذا الثوب قـد اصطبغ بصبغـة جديدة •• الاستسلام للمقادير بعد أن أفلت لسانهـا دون وعى منها بأسرار الجريمة •• ومن ثم فيمكن القول بأن شخصية الأم قد تطورت تطورا جزئيا •

والذى يستلفت النظر رغم ذلك كله ان محمود تيمور استطاع أن يرسم صـورة صادقة لبعض النماذج البشريـة التى تعيش فى القرى والكفور واستطاع بمهـارة أن يغوص الى أعماقها ليكشـف عن خباياها

ومجاهلها فجاءت شخصيات المسرحيه واضحة كل الوضوح وجاء الحوار الذى أرسله على لسان القروية بالذات طبيعيا ومقنعا انظر اليه وهو يصور اللحظات السابقة على ارتكاب الجريمه كما روتها الأم المتهمة فى التحقيق (بعد ما ولدت والذى منه والعيال ناموا سابتنى الحاجة فطومة وروحت قمت لقيت نفسى مش طايقة اقعد فى البيت •• كنت حطه البنت فى حجرى وعماله أهزها وكل الهوا ما يزق الباب قلبى يطب أقوم منطورة ويتهيأ لى أن الحفناوى داخل والسكينة الحامية فى ايده •• وبعدين سمعت حس من بعيد قلت أهو الحفناوى جه من دوار العمدة بصيت لقيت نفسى خارجة من الدار على طول وأنا مخبية البنت فى عبى •• كانت نايمة يا حبة عينى خرجت أجرى وكانت الدنيا ضلمة كحل •• وفضلت أجرى زى الحرامية لحد ما دخلت غيط القطن وأنا حاضنة البنت على صدرى •••) •

وانه لئن كانت المسرحية قد جاءت خالية من صراع حقيقى بين شخصياتها الا أن المؤلف أجاد تصوير الصراع الداخلى الحاد الذى دار فى أعماق القروية

الساذجة وهى ترى تصرفها الطائس يوردها كما أورد بنتها التهلكة وهى لا تصـــدق أن هذه البنت الحلوة الجميلة ذات العيون الخضر والوجه الصبوح قد ماتت فعلا وأصبحت مجرد ذكرى •• بل انها تشفق من أن يكون قد أصابها أى مكروه على يد الوالد القاسى اللعين وتطلب من الحاضرين أن يبعثوا الى قلبها الاطمئنـــان بأن شيئا من ذلك لم يحدث وأن الطفلة الحلوة •• بخير وعافيـــة لم ينلها أذى وينتهى هـــذا الصراع بخبـــل أو جنون وقتى أو دائم يصيب المرأة البائسة وهى تقف موقف المتهمة •

هـــذه القدرة على رسم الشخصـــيات وتصـــوير الصراع الداخلى فى أعماق النفس البشرية هى أخص خصائص تيمور وهى لا تفارقه عندما يتحول أحيانا الى اللون المسرحى ولعل هـــذه القـــدرة هى التى جعلت بعض مسرحياته الاجتماعية تأخذ بمجامع القلوب رغم توافر مقومات البناء المسرحى لها •

أما مسرحية الصعلوك التى جرت أحداثها كمـــا

بنبير المؤلف سنة ١٩٤٠ فهى تعرض جانبا من حياة امرأة « وحيدة هانم » غير متزوجة وذات جمال وثراء وتعيش وفق هواها فى منزل يدل مظهره على الترف .. الطرف الآخر فى المسرحية « دردير أفندى » شخص دسم الخلقة خفيف الظل يقوم بدور النديم والتابع والمهرج فى وقت واحد .. يؤدى الخدمات الخاصة لوحيدة هانم وينقل اليها أخبار المجتمع والصالونات والخلافات والطلاق والزواج والسباق ... الخ ويستميت فى الدفاع عنها اذا مست سمعتها بكلمه أو عبارة أو رواية جارحة .

ورغم البون الشاسع بين وحيدة هانم ودردير أفندى فى المال والجمال والمركز الاجتماعى فان دردير لا يستطيع أن يمنع قلبه من أن يخفق بحب هذه المرأة اللعوب .. يظل يكتم هذا الحب بين جوانحه حتى تطلق الخمر لسانه من عقاله فى احدى الحفلات فيصرح أمام الناس بأنه يحب وحيدة هانم ويريد أن يقبلها .. فتثور لهذه الوقاحة ثورة عارمة وتصدر أوامرها الى الخادم بأن يطرد دردير من المنزل اذا فكر فى زيارتها .

ويفتح الستار على الهانم جالسة فى استرخاء على المتكأ تدخن وتتصفح مجلات الأزياء فى اهمال وقد ارتدت ملابس غاية فى الأناقة وحسن الذوق والوقت قبيل الغروب ويستأذن حسن الفراش فى الدخول فتأذن له وينهى اليها مضطربا أن دردير أفندى على الباب فتنهره وتذكره بتعليماتها السابقة ولا ينتظر دردير الاذن بالدخول وانما يقتحم الحجرة وهو يصيح بأن روحية هانم قد بعثت به اليها بشأن مبالغ من المال كانت قد استدانتها من قبل .. ويبدى دردير من ضروب المذلة والاستكانة مما يجعل وحيدة تسترسل معه فى الحديث ولكنها ما تلبث أن تذكره بفعلته التى لن تغتفرها له فيقول لها خاشعا « كل ما كان الذنب كبير كل ما كان الصفح أعظم » ويجلس تحت قدميها كالكلب الوفى يذكرها باخلاصه لها وكيف انه تحمل الضرب والسجن فى سبيلها ومن أجلها . وترمى اليه لفافة وهو يحدثها عن أخبار المجتمع وفضائحه ثم يطلب منها فى الحاح أن تضربه بضعة أقلام على صدغيه وتصفعه فى رفق وهى غارقة فى الضحك .

وفجأة يلقى بهدوء وفى غير اهتمام قنبلة يكون لها أبلغ الأثر عند وحيدة •• لقد كسب نمرة المواساة السكندو (١٠٠٠) ألف جنيه كاملة غير منقوصة •• وتكذبه فى بادىء الأمر ثم نصـدقه عندما تشاهد النقود بعينها وتتساءل عما ينوى عمله بهذه الألف فيخبرها أنه سينفقها فى ليلة واحدة يقضيها مع غانية تدعى لوليت صديقة الأمراء والملوك والعظماء •• وتعجب وحيدة كيف ينفق ألف جنيه على امرأة فى ليلة واحدة •• لابد أن جمالها يفوق حد الوصف وبجيبها (حسنها ما يتوصفش •• تعرفى جزمتك انت تساوى ألف واحدة زى لوليت) ويدور حديث هامس تتخلله بعض التنهدات •• ويحملق دردير فى وحيدة بعيون تشع نارا وهى مستلقية على المتكأ مسبلة الأجفان وتتمتم (ويهم ايه مش ليلة واحدة ••) ويرمى دردير بنفسه على يديها ويغمرها بقبلات جنونية ثم يدنى رأسه شيئا فشيئا من رأسها ويهم بتقبيله وتثار الحجرة فجأة ويدخل حسن الفراش بالقهوة فينهره ويطلب منه احضار شمبانيا على الفور ويقف دردير بعض الوقت صامتا تائه النظرات

فتعجب وحبدة من ذلك وتتساءل (مالك واقف مبلم كده •• دا أنــا كنت فاكره ان الفلوس خلتك راجل تانى بقى انت اللى كنت عــاوز تهيص مع لوليت •• اوليت فى عينك ••) •

وبقبل الفراش بأقــداح الشمبانبا فجرع منهــا دردبر فى نهم •• ويعود الفراش بخبر الهانم أن « سعادة الباشا » على التليفون فيطلب منه درديو أن يخبره أن الست غير موحودة فتردد الفراش كالمذهول فتقول له وحبدة (انت ماسمعتش البيه قال ابه •• قول له انى مش هنا ••) • وبجره دردبر من كتفبــه وهو يقول (قول له سعادة الألف جنيه هنا •• شيء عجيب) •

وبتحدث درديو عن نفســه وبتساءل وهو بعب الخمر عبا •• (بقى الخلقة دى تعجب حد يا عالم ••) •

وترد عليه الهانم فى خبث والابتسامة تعلو شفتيها (ليه •• مالها •• مش بطالة •• المهم ان دمك خفيف) وتفقده الخمر صــوابه فيقول فى صراحة تتغابى عنها الهانم (بذمتك كان يبقى دمى خفيف لو كان جيبى

خفيف) وتؤكد له وحيدة انه طوال عمره لم يعرف قيمة نفسه وان دمه خفيف فعلا ، ولكنه يذكرها بأنه يشبه الخنفس وهى تشبه الجوهرة وتنتابه حالة ذهول يخرج بعدها الأوراق المالية من جيبه ويحدجها بنظرة ملتهبة ثم ينهال عليها دعكا وتمزيقا فى ثورة صاخبة يشتبه فيها الضحك بالبكاء وتحاول وحيدة منعه من ذلك فلا نفلح انما يستمر فى تمزيق الألف جنيه اربا اربا وهو يصرخ (لا .. اقطعهم كلهم .. كلهم .. مستحيل أنا أكون غير دردير الصعلوك وأنت غير وحيدة هانم الجميلة الغالية حافضل أنا زى ما أنا وأنت زى ما انت ..) .

وتثور ثائرة وحيدة وتنهال عليه ضربا فيقع على الأرض فتطرده وهى تنعته بأحط النعوت فيخرج زاحفا على يديه ورجليه .. وتستلقى هى على وجهها وتشهق بالبكاء فى غيظ ثائر قائلة (الكلب .. الدون .. السافل .. الدنىء .. المجنون) .

لقد استطاع تيمور أن يصور بمهارة ودقة الصراع

الداخلى الذى دار فى أعماق بطلى المسرحة وأثر ذلك الصراع على انفعالات وتصرفات كل منهما .

وحيدة هانم دار فى أعماقها صراع بين كبريائها وغرورها وترفعها من جهة وحبها الشديد للمال وشغفها به من جهة أخرى وأخذت تتدرج فى معاملتها للنديم المهرج .. بدأت بالتظاهر بالصفح عنه ثم ذكرت ان دمه خفيف وشجعته على الاقتراب منها فاذا صرخت فى أعماقها نوازع الغرور والكبرياء اسكتتها بقولها لنفسها انها ليلة واحدة وماذا يضيرها أن تسلم له نفسها ليلة واحدة مقابل الألف جنيه .. ويغذى حب المال شعور حاد بالغيرة من لولبت هذه التى يسلب جمالها لب الملوك والأمراء .. وينتصر صوت المال وتتخذ قرارها بالاستسلام له .. ويندفع هو فى هذا التيار لولا دخول الفراش بأقداح القهوة .

أما دردير نفسه فقد كانت أعماقه محلا لصراع أشد عنفا وقسوة .. صراع بين حبه الجارف لهذه الهانم الجميلة اللعوب من جهة وشعوره الداخلى بالمهانة

وبالفارق الحقيقي الذى يقف بينه وبينها حائلا كالسد ..
لا يحول دون قيامه صفو ساعة أو بعض ساعة يدفع ثمنه كل ما يملك من ثروة .. فى بادىء الأمر تطغى شهواته وعواطفه على تفكيره .. وينسى نفسه بالسعادة التى ظل يحلم بها .. لكنه وقد أدارت الخمر رأسه يجد فى نفسه الجرأة لكى يعلن الحقيقة الثابتة دون مواربة .. انه ليس أهلا لها .. وهى لم تخلق لمثله .. ويتغلب الشعور بالمهانة والمرارة والازدراء لنفسه وينسحب من منزل الهانم مطرودا يحبو على يديه وقدميه .

وتكاد القيمة الفنية للمسرحية تتركز فيما أبداه المؤلف من مهارة فى تصوير هذين اللونين من ألوان الصراع النفسى .

لكن أين هذا من الصراع المسرحى الذى يعتبر ركنا من أركان أى عمل مسرحى لاغناء له عنه ... ؟؟

من الواضح أنه لا يوجد فى المسرحية محور لصراع حقيقى بين بطلى المسرحية .

فلا توجد قضية أو فكرة يختلفان بشأنها ..

وانما على العكس يبدو أن الاثنين رغم ما حملت به المسرحيـه من مفارقات لا يختلفـان كثيرا فى نظرتهما الجوهريه لبعض الأمور وان كانا يختلفان فى السلوك وأسـلوب الحياة اختلافا لا يرقى الى مرتبه الصراع .

هل تعتقد ان الناس يصفقون لمن يسئ جيبه بالمـال .. حتى ولو كان صعلوكا قبيح الخلقة .. وهو أيضا يرى الحياه تبتسم فى وجه من يدفع بسخاء .. وتعبس فى وجه الفقير المعدم .. وكما انه لايوجد صراع بين بطلى المسرحيه فكذلك لايوجد صراع بينهما أو بين أحدهما من جهه وبين بعض القوى الأخرى من جهـه أخرى .. مثل صراع الانسـان مع القـدر أو الغيب أو الموت ... الخ .

لكن هـل يعنى انعدام الصراع المسرحى بالمعنى المفهوم انعدام الموضوع .. الحقيقة أن المسرحية تعالج موضوعا ولكنه موضوع مطروق ومعروف .. سحر المـال الذى يطغى على كل شىء ويغطى العيـوب والمساوىء ويجعل القبيح جميلا والصعلوك « سعادة

البك » لكن طلاوة العرض والحوار واجادة رسم السحصيات وتحليلها كل دلك اكسب الموصوع توبا راهيا قنسيبا بحيث لايمكن اعنباره مجرد ترديد لما سبقه من أعمال أدبية عالجت هذا الجانب من جوانب الحياة البشرية •

والمسرحية فوق دلك تنبض بالحركه مند السطور الأولى ولعل السبب فى ذلك أن المؤلف استخدم عنصر المفارقة •• الذى أغرم برناردشو من قبله باستعماله ليجعل المسرحية تنبع بالدفء والحرارة •

هدا التباين الواضح الشديد بين شخصية وحيدة ودردير وسلوكها •• أبعد عن المسرحية الرتابة وبعث فيها الحياة •

خلاصة القول ان هذه المسرحية وسط بين القصة الحوارية وبين العمل المسرحى •• أو بمعنى آخر خطوة على الطريق نحو المسرحية المتكاملة •

أما المسرحية الثالثة فى المجموعة « أبو شوشة » فهى تمثل تطورا هاما لمفهوم المسرحية القصيرة عند

تيمور وهذا التطور نلمس آثره واضحـا فى المعالجـة والبناء الفنى للسرحية على النحو الدى سنبينه بعد قليل •

يرفع الستار على بهو منزل مؤنس بك فى ضيعه كفر البلابل •• يصف المؤلف المنزل بأنه نظيف ومرتب عليه الطابع الريفى •• بجلس فى البهو يسريه زوجـه مؤنس بك ومعهـا مربيتها ويدور بين الاثنين حـديث يستشف منه أن ربه المنزل من أسرة ريفية طيبه وان عزبه كفر البلابل قد أصبحت عزبه نموذجيه ومضرب الأمثال بين العزب فى السنوات الأخيرة وتخرج يسرية ومربيتها وتظهر على المسرح برجة خادمة بارعة الجمـال وعوضين خـادم المنزل ويتطارحان أحـاديث المودة ويرسـمان خطوط المستقبل ويعد عوضين برجة أن يذهب بها الى القاهرة بعد أن يتزوجها ليقضيا بعض الوقت فى النزهة وزيارة المشايخ وشراء بن وسكر وتمنى برجة النفس بأن تبقى فى القاهرة الى الأبد تشأن بنت خالتها شـلبية لكنه ينهرها فى رفق •• ويسمع صوت مؤنس بك ينادى عليه غاضـبا فيسرع اليه ويعلن البك أن مصيبة كبرى

قد حل .. العجل أبو نسونسة امتنع عن تناول الطعام ودمعت عيناه .. يا للكارثة .. يعطيه مؤنس الدواء ويطلب من عوضين أن يسرع باستدعاء أبى هجرس ليلازم العجل ويسهر على صحته .. وتقبل يسرية على زوجها متوددة فتحدثه عن التفاوى واللبن والزبد والجبن الذى سيعرضه فى معرض كفر الريان فيرد عليها فى فتور فتهم بمغادرة المنزل غاضبة فيتراجع ويضرب منها معتذرا متلطفا وتتوجه لزيارة والدتها وهى راضية النفس .

وفى هذه الاثناء يقبل على منزل مؤنس على غير موعد بعض الضيوف عطوه باشا ومعه الشيخ غندور وظاظا بك وحسنية هانم زوجته وقد كان هؤلاء فى ضيافة عطوه باشا فى ذلك اليوم بمناسبة افتتاح مسجد جديد فى عزبته وتاقت نفس ظاظا بك أن يزور عزبة كفر البلابل التى أصبحت حديث الناس ومضرب الأمثال وبعد آن يستريح الضيوف قليلا يخرجون جميعا الى الحديقة ولكن ظاظا بك ما يلبث آن يعود الى المنزل باحثا عن (التوربان) وهو عصابة حريرية لزوجته

وفى هذه الأثناء تدخل برجـــة ويبهر جمالها ظاظا بك وتساعده فى البحث عن العصابة الحريرية وهو يداعبها ويتلطف اليها من وقت لآخر حتى نعثر على العصـــابه ويضع ظاظا العصـــابة على رأسها مغازلا ويفاجئهمـــا عوضين فيغلى الدم فى عروقه ويشتم برجه وينهال عليها ضربا بوصفه خطيبها وزوج المستقبل ولمـــا يحـــاول ظاظا بك تخليصها منه تصيبه هو اللكمات وعندما تولى برجة من الحجرة هاربة يكون ظاظا على حد تعبير المؤلف (فى حالة بشعة مفكوك رباط الرقبه مصابا فى وجهـــه بكدمات) ويتحدث الى عوضين فى عزة واشـــفاق فى وقت واحد (ما تزعقشى كده وانت حمقى قوى ولكن باين عليك انك راجل طيب) ويمد يده اليه بقطعة نقود فيرفضها عوضين باباء وشمم ويغـــادر الحجرة مرفوع الرأس • وتقبل حسنية هانم تبحث عن التورباذ وعن زوجها فتفاجأ به على هذا الحـــال ويقبل مؤنس بك أيضا ويخبرها ظاظا أنه سقط على الأرض أثناء بحثه عن العصابة الحريرية فاصابه ما أصابه •• وتحرض حسنية زوجها على الخروج من الحجرة فشربات الليمون ينتظره

فى الحديقة والناظر ينتظره بعد ذلك بالركايب للمرور على الاطيـان •• ويخرج ظاظا ويخـلو الجو لحسنيه ومؤنس •• ويسترجع الاثنان ذكرى الايام الخوالى أيام أن تعاهدا على الحب والزواج ويبرر مؤنس اخلافه وعده أن والده توفى فجـأة وترك له الديون والمشاكل فآثـر ان يصرف كل جهـده لتدارك الموقف وادارة الأطيان بنفسه ولمـا تخبره حسـنيه انها كانت على استعداد لمد يد المعونه اليه بمالها يخبرها أن هـذا هو السبب الذى جعله يبتعد عن طريقها فهو لا يقبل معونه من سيدة حتى ولو كانت زوجته •• وتسأله ان كان قد نسيها فيجيبها فى مرارة (الحجر بيفضل كتير والع تحت الرماد يا حسنية) •

وفى غمرة الذكريات يسـمع مؤنس خوار عجـل فينتفض واقفا ويسأل فى لهفة عن الأمر فيخبره عوضين ان أبـا نوشة يتناول الدواء فيوصيه بالعناية به ويعود الى حسنية فيجدها مدهوشـة مغيظة••ويعود الحديث الودى بينهما وتخبره حسنية أنها ستحتفل بعيد ميلادها بعد يومين وستقيم بهذه المناسـبة حفلا خاصا يحضره

الأقارب والأصـــدقاء ومن بينهم عطوه باسا والشيخ عندور ونساءل عما اداكان يروق له الحضـــور •• أنه لو فعل فسنكون تلك فرصة لا تعوض للقاء وقضـــاء بعض الوقت فى الأماكن الخلويه ودور اللهو •

وفى هـــده اللحظـــة يدخل عوضين صائحا يطلب البشارة ووجهه يطفح بالسرور •• لقد أكل أبو سونسه العليق ويكاد مؤنس يجن فرحا لهذا النبأ السار ويطلب من حسنية أن تصحبه الى حيث يوجد العجل لكنهـــا تجيبه فى خيبة أمل (روح انت وأنـــا حاسنالك هنـــا) ويخرج مؤنس ويدخل زوجها يتمايل ثملا بما شربه من العرق فتنهره لفعلته ولكنـــه يؤكد لها أنه لم يشرب سوى شراب الليمون فقط •

ويدخل عطوه باشا والشيخ غندور وتجرى حسنية تحقيقا فى الموضـــوع فيتدخل الشيخ غندور مداعبـــا (أؤكد لك يا هانم ان ســـوء النية ما كانس موجود عند ظاظا بك •• مسألة ســـوء تفـــاهم بين الكبايات وبعض : بين كبابة الليمون وكباية العرقى) وتطـــلب

حسنية من زوجها فى حزم واصرار أن بتوجـه للمرور على الأطيان وتأمر عوضين باعداد الركايب على الفور وستنل ظاظا ويخرج تاركا حسنـنة مع عطوه باشـا والشيخ غندور ويدخل مؤنس بك على القوم فى منتهى السعادة بطلب منهم أن يقدموا له خالص التهنئة ..
لقد طاب أبو شوشـة وأكل عليقـه وآخـذ بضحك ويبتسـم .. وتقول حسنية هـانم ساخرة (هيء .. بضحك) ويخرج الجميع لمشاهدة العجل .

يدخل ظاظا بك من باب جانبى فى حذر وفى هـذه اللحظة تدخل برجة تحمل صينبة فطير ذرة اعدت لتكون هدية لعطوه باشا فيستقبلها ظاظا بك مرحبا (آهلا وسهلا برجة هانم) . وتقدم برجة صينية الفطير فيتناول منها قطعة اثر قطعـة وهى تحرضـه على ذلك مؤكدة انه بمكن عمل صينية أخرى للباشا .

ويتساءل ظاظا هل ستتزوج برجة عوضين .. فترد تلك فى استنكار أنها لا بمكن أن تفكر فى ذلك .. وبعد أن يداعبها ظاظا قليلا يسر اليها حديثـا هاما .. ينهلل له وجهها ويخرجان معا .

ويدخل مؤنس بك وعطوه باشا وحسنبة هانم والشيخ غندور ويبدى الباشا اعجابه بالعجل فيرد عليه الشيخ غندور (ماشاء الله ملظلظ قوى •• فوى •• اوع تفرج عليه الجزارين لحسن يسرقوه منك) •

ويقبل عوضين مهرولا •• لقد بعث الباشا المدبر من يسأل عن المعروضات التى سيبعث بها مؤنس بك للمعرض فيؤكد مؤنس أنه سيرسل هذه الأشياء فى الصباح الباكر وتستأذن حسنة هانم وباقى الضيوف فى الانصراف •• وتشير الى مشاغلها العديدة بمناسبة عيد ميلادها بعد يومين •• فيتذكر مؤنس وعده بحضور الحفل •• وكيف ان موعد الحفل هو ذات موعد المعرض فينادى على عوضين لتدارك وعده بالاشتراك فى المعرض فتحول حسنية بينه وبين ذلك وتطلب منه ألا يضيع فرصة المعرض من أجلها فيتردد ويبدى رغبة فى حضور حفل عيد ميلادها فتقول فى عزم وتصميم (مستحيل •• أنا متشكرة قوى على كل حال) فيردف مؤنس بك قائلا أمرك •• والله أنا كنت أحب أكون معاكم قوى) •

وتبحث حسنية عن زوجها بأعصاب ثائرة بينما يدخل عوضين معلنا نبأ هاما (الراجل اللى اسمه ظاظا بك أخذ البت برجة معاه فى التسبيل وهرب) .

وعندما تبدى حسنية دهشتها لذلك النبأ بعود عوضين ليؤكده (وحياة رأسك يا ست هرب .. كل الفلاحين شافوهم فى التسبيل زى الفريرة) .

وتصيح حسنية هانم فى اهتياج طالبة السيارة الثانية وتخرج كالعاصفة بينما يتهالك الشيخ غندور على المقعد ضاحكا ويدخل عطوه باشا وهو يجفف وجهه بالفوطة ويتساءل (مين هو اللى هرب .. العجل أبو شوشة) فيجيبه الشيخ غندور ساخرا (لا يا سعادة الباشا . اللى هرب عجل تانى .. تسأل نشوف المسألة ايه) .

ويخرج الاثنان وبعد قليل تدخل يسرية وخلفها أم سريع .. وتزف أم سريع الى سيدة المنزل نبأ شفاء أبو شوشة فتطرب لذلك ويدخل مؤنس بك ويقع بصره على زوجته فيذهب اليها مبتهجا ويحوطها بذراعه

منادبا اباها بـ (يا حبيبتى) فتخرج أم سريع وهى تتمتم (ربنا يحببكم لبعض ولا يورينا وحش فيكم أبدا) ويتحدث الاثنان فى موده عن المعروضات التى سيقدمها الزوج فى المعرض حتى يتطرق الحديث الى القطن الجديد الذى استنبته مؤنس بك ولم يعثر على اسم ويشترك الاثنان فى البحث عن اسم له وفجأة يهتدى الزوج الى الاسم المناسب (القطن اليسرى والبذرة اليسرية) وتتساءل يسربة فى دهشة وشك (على اسمى) وتحدق فى زوجها طويلا ثم تخفى وجهها فى صدره متأثرة فيضمها بشغف اليه ويقبلها وفى هذه اللحظة تقبل أم سريع •• من الخارج قائلة (أبو هجرس جاب الجواميس الحلابة يا ستى) وعندما تفاجأ بمنظر الزوجين متعانقين تنسحب فى هدوء •• وهى تغمغم (ما جابشى حاجة يا ستى) •• الذى يميز هذه المسرحية عن المسرحيتين السابقتين هو وفرة الشخصيات واسهامها بنصيب ملحوظ فى أحداث المسرحية فالمسرحية الأولى لم يظهر فيها سوى الأم الثكلى ووكيل النيابة والخفر واستغرق حوار الأم معظم صفحات المسرحية والمسرحية

الثانية تقاسم حوارها وحبدة هانم ودردر أفندى ولم يظهر معهما سوى خادم كل همه أن ينفذ تعليمات سيدته .. أما مسرحية أبو شوشة فقد زخرت بشخصيات عديدة كان لها أدوار ايجابية فى الأحداث.. صاحب المنزل وزوجته ظاظا بك وحسنية هانم .. حتى الخادم والخادمة كان لهما نصيب من اهتمام المؤلف فسلط عليهما الأضواء فى كثير من المواقف تعدد الشخصيات افاد بناء المسرحية من جهة .. وأضر به من جهة أخرى .. أفاد بناء المسرحية لأنه جنبها الجمود والرتابة وبعث فيها الحركة والحياة واضر بالبناء الفنى للمسرحية لأن تعدد الشخصيات ترتب عليه تعدد أوجه الصراع وهذا التعدد فى حد ذاته لا يعد عيبا فى العمل المسرحى اذا استطاع المؤلف ان يحتفظ بوحدة الموضوع وان يشد الصراعات الصغيرة المتعددة لبعضها الى بعض بحيث ينتظمها صراع رئيسى واحد .

هذه المسرحية تضمنت صراعا بين ظاظا بك وعوضين ــ حول الظفر بقلب برجة .. وانتهى الصراع بانتصار ظاظا بك وهروبه مع برجة .. وتضمن أيضا

صراعا خفيا وغير مباسر بين حسنية ويسرية حول الظفر بقلب مؤنس ويدخل أبو شونسة طرفا ثالثا فى هــذا الصراع وينتهى الصراع بانتصــار يسريــة ومعهــا أبو شوشة بالطبع •• والذى يبدو أن حرص المؤلف على أن يعطى ما أمكن صورة صادقة وحية عن الحياة فى ريف مصر ما قبل الثورة بيشواته وبكواته وخدمه وحشمه •• وهــذه المسرحية فيما اذكر كتبت ونشرت لأول مرة قبل ١٩٥٢ هــذا الحرص اغرى المؤلف بأن يقيم توازنا بين الشخصــيات الرئيسية فى المسرحيــة فجاءت تكاد تكون متعادلة فى الأهميــة وأقول تكاد لأنه من الواضح ان الزوج والزوجة وأبا شوشة ظفروا بنصيب أكبر نسبيا من نصيب ظاظا وبرجة وعوضــين لكن لايمكن التسليم ببســاطة بأن الصراع بين ظاظا وعوضين حول قلب برجة يعتبر بمثابــة صراع جانبى لا أهمية له فى المسرحية فهذا الصراع أخذ جانبــا كبيرا من اهتمام المؤلف الذى صــور شوق برجة الى أنوار القاهرة ومباهجها منذ الصفحات الأولى ثم صور هيام ظاظا بهذه الخادمة الحسناء هياما شــديدا تحمل من

أجله اللكمات والصفعات من خادم بسط .. وأهم من ذلك كله أن هـذا الصراع لم يخدم الصراع الرئيسى فى شىء .. فحسنبة ومؤنس كان قد انصرف كل منهما عن الآخر قبل أن يهرب ظاظا مع برجة ولم تغير هروبهما شيئا من موقف حسنبة أو مؤنس أو زوجته .

والذى يسترعى الانتباه أن المؤلف أوجد حـلا لمشكلة برجة بهروبها مع ظاظا ولمشكلة مؤنس ويسرية بعودة المودة بينهما ولمشكلة أبو شوشة بعودة الصحة والعافية اليه .. ولكنه أغفل أيجـاد حل لمشكلة حسنبة وهى شخصية هامة من شخصيات المسرحـية رغم أن الحل كان قريب المنال منه .

فعطوه باشا هذا الذى لم يقم بأى دور ايجـابى فى المسرحية .. كان من الممكن أن يعطف على حسنبة فى محنتها أو قبل محنتهـا ويتم تقـارب بينهما بحيث يستطيع القارىء أن يستنتج أن هـذا التقارب ستكون نتيجته زواج الاثنين ويـكون بمثابـة رد على زواج ظاظا بك المنتظر من برجـة الذى يؤكده قرارهـا على رؤوس الاشهاد ومن بين هؤلاء الاشهاد زوجته حسنية

التى كانت على بعد خطوات منه فى القرية .. ورغم ذلك فقد حوت المسرحية من عناصر الفوة ما غطى عيوب بنائها الفنى أو كاد ومن ذلك :

أولا — تطوير الشخصيات الرئيسية تطويرا طبيعيا ومنطقيا نابعا من التطور الطبيعى للأحداث ذاتها .. مؤنس بك بدأ فى أول المسرحية بارد العواطف ازاء زوجته .. ومن خلال أحداث المسرحية تطورت شخصيته حتى أصبح يقف فى النهاية موقف المحب الولهان أمامها وانه لئن كان المؤلف لم يلق ضوءا كافيا على سر هذا التطور الا أنه جاء منطقيا ومتمشيا مع طبيعة الأحداث .. ففى بداية المسرحية كان مؤنس مشغول البال بمرض (أبو شوشة) ومن أجل ذلك كان متوتر الأعصاب .. وقبل النهاية كان أبو شوشة قد شفى من ناحية وكان صاحب المنزل قد اجتاز تجربة عاطفية جديدة مع حسنية التى كان يبادلها عواطف الحب والهيام فى فجر شبابه .. ولكن سرعان ما منيت هذه التجربة بالفشل قد يكون من أسبابها شدة تعلق مؤنس بالعزبة والعجول والمعرض والحياة فى الريف

بصفة عامة ونفور حسنيه من هـذه الأشياء •• وقد يكون زهد كل منهمـا فى الآخر أو اشـفافه من اثارة كوامن الحب القديم وكلاهما مرتبط بشريك لحياته •• المهم أن فشل هذه التجربه الجديدة جعل مؤنس ينحفز لاستقبال زوجته استقبالا حارا يلوم معه نفسـه على مجرد التفكير فى خيانتها ويدخر لها فيه شحنة كاملة من عواطف الحب والوفاء والاخلاص •• شخصيه ظاظا أيضا مثال رائع على قدرة تيمور على تطوير الشخصيات فقد بدأ ضعيف الشخصية مسلوب الارادة يتحرك بأمر زوجته وارادتها وحدها ان أمرته بالخروج الى الحديقة انصاع لأمرها وخرج على الفور •• وان بعثت به يبحث لها عن عصابتها الحريريه عـاد كالتابع الأمين يبحث عنها وان استشعرت خروجا منه على تعليماتها بعدم تنـاول بعض المشروبات قامت بزجره على مسمع من الملأ •

وهـكذا •• ولكن هـذه الشخصـية الضعيفة المتخاذلة طرأ على حياتها ما بعث فيها القوة والقدرة على التصميم والتنفيذ دون انتظار الاذن أو الاشـارة من الزوجة •• بل يذهب الى تحدى الزوجة ذاتها ـ لقد

دخلت حياته برجة وادار جمالها الرائع رأسـه وجعله يقدم على اتخاذ كل هذه الخطوات .

برجـه نفسـها تطورت شخصيتها من خـلال الأحداث .. بدأت فتاة قروية ساذجة تبادل عوضين الحب لكنها تحن الى زيارة القاهرة والاقامة فيها وتعرفها بدللت ابنة خالة لها (تلبية) ذهبت اليهـا من قبـل واستقرت فيهـا .. وعندما تواتيها الفرصـة سانحة ممثلة في شخصية ظاظا بك الذى افتتن بجمالها لا تلبث أن تهتبلهـا وتتطور شخصيتها وتكسر القيد وتتنـكر لعهدها لعوضين وتقبل الهرب مع ظاظا في سيارته .

ثانيا ـ امتازت هذه المسرحية في كثير من مواقفها بالسخرية الحـادة تنساب بين سـطورها في رفق دون ما ثمة افتعال أو تهريج .. والمؤلف قد أعد عدته لهذه السخرية منذ اللحظة الأولى التى آخذ فيها في ارسـاء قواعد المسرحية فيجعل أبا شوشة هو محور اهتمـام صاحب الضيعة .. اهتماما يجعله يذرف الدمع آسى ضحكا وسخرية من هـذا الاهتمام .. كمـا حفلت المسرحيـة ببعض الشخصـيات التى تتسم تصرفاتهـا

أو حديثها بالسخرية ومن ذلك ظاظا بك الذى تحمل الكلمات والصعاب فى صبر من أجل عيون برجة .. ويقبل على صينيه فطير الذرة فى نهم وهى لم تعد له وانما لعطوه باشا .. والشيخ غندور الذى لا يترك موقفا يستحق التعليق الساخر دون أن يدلى بدلوه ومن ذلك حديثه عن هرب ظاظا بأنه عجل آخر على النحو الذى أشرنا اليه عند تلخيص المسرحية .

ثالثا ـ استخدم بيمور فى هذه المسرحيه الأسلوب غير المباشر فى رسم الشخصيات ومن قبيل ذلك شخصيه حسنيه .. فهو لم يقل صراحة فى أى جزء من أجزاء المسرحيه انها قليلة الحظ من الجمال الذى قاله عنها فى مقدمة المسرحيه ان عمرها ٢٩ سنة وانها زوجة ظاظا بك ومع ذلك فقد قال من خلال الأحداث انها لابد ان تكون قبيحة أو على أحسن الفروض متوسطة الجمال ـ فهذه المرأة التى يهجرها حبيبها (مؤنس بك) هى فى شرخ الشباب ورغم ثرائها العريض فى الوقت الذى يعانى هو فيه أزمة مالية والتى يهجرها زوجها بهرب مع خادمة حسناء بعد لقاء عابر قصير لا يتصور

أن تكون قد أوتيت من حسن أو جمال ولا يمكن أن يكون هجرها مره اثر آخرى الا لهذا السبب •

رابعا ـ اجاد تيمور فى هـذه المسرحية أيضـا تصوير الصراع الداخلى ••

وهناك موقف قد يبدو للقـارىء غير رئيسى فى المسرحيه لكنه حظى من اهتمام الكاتب وعنايته بالشيء الكثير فجـاء فى الروعه والابداع ذلكم هو المشـهد الذى كان يقف فيه مؤنس موزع العواطف والمشاعر بين حسنيه من جهه وأبى سوسة من جهة أخرى •

واستيقظ الحب فى قلبه وقلب حسنية معا أو هكذا هيىء لهما فأخذا يستعيدان المـاضى بذكرياته بل وتعد حسنية العدة لوصـل الحـاضر بالمـاضى ولا تتورع وهى زوجه لشخص آخر له مكانته الاجتماعيـة من دعوة الصديق القديم لحضور حفل عيد ميلادها لتكون تلك فرصـة ذهبية يلتقيان فيها فى غفلة من أعين الرقباء فى دور اللهو والأماكن الخلوية •• ورغم حرارة اللقـاء التى كانت تزداد من لحظة لأخرى •• فان مؤنس عندما

يســمع خوار العجل لا يلبث أن يترك حسنية ويلتفت لمصدر الصوت •• وعندما يانيه من يبشره ان العجل قد آكل عليفه وشفي من مرضه ينصرف عن حسنيه ويتركها مدهوله وتتحول عواطفه وأفكاره وخواطره الى آبى سونته العظيم الذى سيرفع رأسه عالية فى المعرض الذى سيقام بعد يومين •

هــذا الصراع الذى يدور فى أعمــاق الرجل بين عواطفه نحو المرأه التى تقف بجانبه وبين رغبته الملحه فى اشباع هوايه له تصرفه عن الاستماع لصــوت المرأة وتوسلاتها صورة من قبل يوجين اونيل فى مسرحيته القصيرة (صيد الحيتان) وقد أنهى الصراع الذى دار فى أعماق القبطان بانتصار الرغبــة فى صيد الحيتــان ويرفض توسلات زوجته بالعودة الى الشاطىء والعزوف عن الصيد •

واذا كانت هذه المسرحية تعتبر من أروع ما كتب أونيل من المسرحيات القصيرة فان المشهد الذى صوره تيمور بقلمه او بمعنى ادق رســمه بريشته يعتبر من أجود ما كتب وقد رفع كثيرا من قدر المسرحيه •

وبعد فهذه مسرحيه أبى شوشة قمــة انتاج تيمور فى المسرحية القصــيره وانضج مسرحياته وأقربهــا الى الكمــال •

ولا أظننى بعد ذلك فى حاجه الى عرض المسرحيات الثلاث الباقيه التى تتضمنها المجموعة (حفلة الشاى ــ الموكب ــ برفيه) فهى جميعا لا ترقى الى مســـتواها ولا نستطيع أن نطاولها رغم الحــوار السلس الرقيق الذى يتدفق فى جنباتها ورغم ابداع المؤلف فى اختيار اللقطــات ورســم الشخصــيات فكل ذلك لم يشفع للمسرحيتين الأولى والثانيــة (حكمت المحــكمة ــ والصعلوك) فى أن تنال حظ أبى شوشــة من المكانة والتقدير ســـواء عند أهل كفر البلابل أو عند محمود تيمور أو عند القراء والمشاهدين •

❊❊❊

العـــراق

نازك الملائكة وشجرة القمر

نازك الملائكة وشجرة القمر

عندما أخذت اطالع ديوان الشـاعرة العراقيـة نازك الملائكة « شجرة القمر » تبادر الى ذهنى للوهلة الأولى هذا السـؤال •• ما هـذا المنعطف الجديد الخطـير الذى انعطفت اليه نازك وشـعرها فى هـذا الديوان ؟

لقد كان من سمات ومميزات دواوينها السابقـة وضوح الصور الشعرية •• ووضوح الرؤية بل وبساطتها مع عمق فى المعانى وسلاسـة فى الألفاظ وموسـيقى

شعرية تتدفق بين حنيات قصائدها فما بالها من هــذا الديوان « شجرة القمر » تلجأ الى الرموز والأحاجى والألغاز والقصص الخيالية التى يجهد القارىء نفسه فى البحث عن مدلولاتها حتى لو كانت قد وضعت يده على أول خيط وبداية الطريق كما فعلت فى مقدمة ذلك الديوان .

لكننى ما كدت أعيد قراءة الديوان مرة ومرات ثم أعود الى دواوينها السابقة وخاصــة ديوانهــا الأول عاشقة الليل حتى وجدت شعر نازك لم يتغير جوهره فى شىء ، ذلك أنها تستلهم شعرها من منابع ثلاثية لا تحيد عنها : وصف الطبيعة والافتتان بها ، الغوص الى أعماق النفس البشرية وتصوير أدق خلجانها التغنى بالحياة .

واستطعت بذلك أن اخلص الى نتيجــة أراحتنى كثيرا .. ان التغير هو فى أسلوب العرض .. فى الشكل وليس فى المضمون وهو تغير الى أفضل فيه تجديد وفيه تطور ذلك أن الأسلوب القصصى فى الشعر وهو الاطار الذى أفرغت فيه نازك قصيدتها الرئيسية فى الديوان

شجرة القمر هو من أرقى أساليب الشعر المعاصر وذلك طالما لم نفقده السرد القصصي لمسة الفن وروعته وطلاوة الشعر وعذوبته وطالما ظل الشاعر بمنأى عن النثرية والتقرير .

وقصة شجرة القمر قد تكون قصة ساذجة ، بسيطة مما يحكى للأطفال فى سن الصبا وقد حكتها الشاعرة فعلا لبنت خالتها مسورة ذات ليلة من ليالى سنة ١٩٤٩ ولكنها فى جوهرها عميقة المضمون صبى صغير يفتتن بالقمر فينصب له الشباك ويصيده ويأخذه أسيرا الى كوخه حيث يحتفظ به لنفسه ويحجب ضياءه عن الناس وتثور الجماهير فى كل مكان باحثة عن القمر وتتجه الى كوخ الصبى تدق باب الكوخ فى اصرار وعناد مطالبة بالافراج عن القمر السجين فيهتدى الصبى الى فكرة دفن القمر فى أرض الكوخ ليخفيه عن أعين الجماهير الغاضبة التى تدخل الكوخ فلا تجد شيئا فتنصرف آسفة غاضبة .. لكن القمر الذى دفن فى أرض الكوخ تنبت بذرته شجرة .. ليست ككل الأشجار وثمارها ليست ككل الثمار تغار منها الأشجار

والشجيرات .. لكن الأمر لا يستمر على هذا المنوال كثيرا .. فبعد فترة طالت أم قصرت يعود القمر الى سماء الكون يأخذ مكانه فى كبد السماء ويضىء للدنيا كلهـا ...

ولنتابع بعد ذلك أبيات القصيدة التى أفرغت فيها نازك هـذه القصة والتى تقرر اعترافا بالحق فى مقدمة الديوان أنها استلهمت فكرتها . دون البناء أو الصور أو الأساليب من قصيدة لشاعرة انجليزية قرأتها ذات يوم ونسيت اسم القصيدة والديوان والشاعرة على السواء .

تبدأ القصيدة بوصف مسرح أحداث القصة هكذا على قمة من جبال الشمال كساها الصنوبر .

وغلفها أفق مخملى
وجـو مغبـر

وترسـو الفراشـات
عند ذراها لتقضى المساء

وعند ينابيعها تستحم
نجـوم السـماء

ثم تنتقل الى وصف البطل وهو الغلام .

هناك كان يعيش غلام ، بعيد الخيال
اذا جاع يأكل ضوء النجوم ولون الجبال
ويشرب عطر الصنوبر والياسمين الخضل
ويملأ أفكاره من شذى الزنبق المنفصل
وكانت خلاصة أحلامه أن يصيد القمر
ويودعه قفصا من ندى وشذى وزهر
وتواتى الغلام الفرصة وهو قريب من القمر
والقمر غافل عنه وعما يدبره له :
وكان قريبا ولم بر صيادنا الياسمي
على التل فانساب بذرع أفق الدجى طالما
.. وطوقه العاشق الجبلى ومس جبينه
وقبل اهدابه الذائبات شذى وليونه
وأخفاه فى كوخه لا يمل اليه النظر
أذلك حلم ؟ كيف وقد صاد .. صاد القمر
ويبحث الناس عن القمر فلا يجدونه :
ونادت صبايا الجبال جميعا ((نريد القمر))
فردت القمم السامقات ((نريد القمر))

وطاف الصدى بجناحيه
حـول الجبـال وطـار

الى عربات النجوم وحيث
ينـــــام النهـــــار

أما فى الكوخ فقد كان الغلام سعيدا لضيفه الجديد.

وفى الكوخ كان الغـلام يضم الأسير الضحوك
ويمطـره بالدمـوع ويصرخ «لن يأخذوك»
وتزحف الجماهير نحو الكوخ بحثا عن القمر
.. فماذا يفعل .. ؟ !

ومرت دقـائق مثقلات
وقـــاب الغـــلام

تمزقـه مدينة الشـك
فى حســرة وظـلام

وجاء بالفأس وراح يشق
الثـرى فـى ضجـر

ليدفن هذا الأسير الجميل
وأيـــن المفـــر ؟

وراح يودعــه فى اختنــاق وبغســل لونــه
بأدمعــه ويصــب على حظــه ألف لعنـــة
وحطمت الجماهير الثائرة باب الكوخ فمــاذا
وجدت .. لم تجد شيئا

فلا شيء في الكوخ غير السكون وغير الظــلم
وأما الغــلام فقــد نــام مستغرقــا فى حــلم
وحار الرعاة أبسرق هـــذا البرىء القمر ؟
ألــم يخطئوا الاتهـــام ؟ ثم أيــن القمــر ؟

وتبرع الشاعرة الجماهير فى تساؤلها وتعود الى وصف حالة الغلام .. ذات صباح بضيق فتجد شــيئا جديدا .

هنــاك كانت تقوم وتمتد فى الجــو ســدره
جدائلها كسيت خضرة خصبة اللون نرة
رعاها المســاء وغذت شــذاها شــفاه القمر
وأرضــها ضوؤه المختفى فى التراب العطــر
وأشرب أغصــانها الناعمــات رحيق شــذاه
وصب على لونهــا فضـــة
عصــرت مــن ســـناه

وأثمارها .. أى لون غريب
وأى ابتكـــــار
لقـد حـار فيهـا ضـياء
النجـوم وغـار النهـار
وجفـت بهـا الشجيرات
المقــلدة الجــامده
فمنذ عصـور وأثمارها
لــم تــزل واحـدة
فمن أى أرض خياليـة رضعت ؟ أنى تربـة
سقتها الجمال المفضض ؟ اى ينابيع عذبـة

وتمر الأيام والسنون وينسى الناس قصـة غياب القمر ولكنه يوما ما يعود اليهم لتعود للكون بهجته ولا تفسر الشاعرة كيف كان ذلك ..

ومرت عصـور وما عـاد أهل القرى يذكرون
حيـاة الغـلام الغـريب
الرؤى العبقرى الحنـون
وحتى الحياة طوت سره
وتناســت خطــاه

وأقمـــاره وأناشـــيده
واندفـــاع منـــاه

وكيف أعـاد لأهل القرى
الواطـــين القمـــر

وأطلقـه فى السـماء كما كـان دون ممـر
يجوب الفضاء وينشر فيه
النـــدى والبـــرودة

وسبه ضباب تحـدر من أمسيات بعيدة

وتختتم الشاعرة قصيدتها أو قصتها هكذا ..

وهمســا كأصـداء نبع
تحـدر فى عمـق كهف

يؤكـــد أن القـــلام
وقصـــته حـلم صـيف

وسواء أكانت القصـة حلم صيف أم أسـطورة تناقلتها الأجيال فان القصة على أية حال تستحق العرض والدراسة والتأمل العميق الذى فى صـدق مكانهـا بين شعر نازك وبين الشعر المعاصر وكنت أود لو عرضت هنا القصيدة كاملة لولا أنها تقع فى مائة وأربعة وأربعين بيتـا .

هذه القصيده فى رأبنا وبغض النظر عما أوردته الساعرة فى مقدمة الديوان •• فالغلام رمز للأثرة الانسانية على وجه الأرض •• والقمر رمز لمعانى وقيم الحق والخير والجمال وزحف الجماهير بحثا عن القمر يدل على ان الحياة على وجه الأرض — وان طال الزمن — لا تستقيم بدون تلك القيم •• وعودة القمر الى مكانه ثانية يضىء الكون بضيائه رمز لعودة الحق الى أصحابه الشرعيين •

وثمة تساؤل يطرح نفسه فى هذا المقام الا يمكن أن يكون هذا الغلام رمزا لحاكم مستبد أراد أن يجمع بين يديه كل عناصر الخير فى البلاد ويكنزها دون رعيته •• وأفلح فى ذلك زمنا ثم دار الزمن دورته •• وعادت للرعية حقوقها كاملة •

ان القصة تحتمل هذا وأكثر منه لكن التأويل الذى أتت به الشاعرة فى مقدمة ديوانها تأويل مبسط وشاعرى فى الوقت ذاته وفى ذلك تقول الشاعرة (ولعله لا يخفى أن الغلام فى قصيدتى رمز للشاعر أو

الفنان فهو يحب الطبيعة حبا يفوق حب الآخرين لها ويريد أن يقترب منها ويدوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده .. وتكون ثورة الرعاه والصيادين رمزا للحق العام فى القمر فاذا كانوا لا يصلون الى استرجاع الأسير ، فان دلك لا يتم الا بحدعه يرتكبها الغلام فهو يدفن القمر فى الارض ليستنبت منه شجره سامقه لا مثيل لها بين الشجر ... وما معنى دلك الا معناه ان الفنان يتناول الطبيعه ويبدع منها فنه فاذا كان فى السماء قمر يملكه الوجود كله فان فى وسع الفنان الذى يحب دلك القمر أن يصنع نمادج منه فى قصائد وصور .. وتنتهى القصيدة بأن يعيد للناس القمر العام الى الوجود ويكتفى بالأقمار التى تثمرها شجرة الشاعر) ..

وواضح أن نازك فى هـذا التأويل وذلك التحليل متأثرة بصفتها كشاعرة وفنانة..لكن الدارس أو الناقد للقصيدة من واجبه أن ينظر اليها نظرة أكثر عمقـا وحيادا .. لكن ما بالنا نشغل أنفسنا بالرموز والأهداف الظاهرة والباطنة ونغفل عن الصـور الشعرية النادرة التى تزخر بها القصيدة مسرح القصـة أضفت عليـه

الشاعرة جوا ساحرا وأبدعت فى وصفه قسم جبال الشلال كستها أشجار الصنوبر والأفق الذى بعد وعلى البعد بلون المحمل أضاف الى اللوحة أبعادا جديدة زادت طبيعتها فتنة وجمالا ثم تأتى الفراشات من بعيد لتقف على تلك القمم لا لتضيف بألوانها الزاهية بعدا جديدا الى الصورة المادية للوحة فحسب وانما لتبعث فى المسرح كله الحيوية بأناشيد المساء .

هذا على القمم الشامخة أما عند الينابيع فان صورة النجوم قد انعكست فبدت وكأنها تستحم فى تلك الينابيع الصافية .

وقد تكون الصورة الأخيرة مستوحاة من شعر على محمود طه فى قوله (فى شراع تسبح الأنجم اثره) من قصيدته الجندول وقد لاتكون كذلك لكنها على أية حال جاءت أجمل وأدق من صورة على محمود طه كما جاءت مكملة للوحة التى رسمتها الشاعرة لمسرح الأحداث .

أما شخصية الغلام — بطل القصة — الذى ظل

يتربص بالقسر حتى استطاع أن يصطاده فقد أكدت الشاعرة بوصفها له مقومات تلك الشخصيه كفنان أصيل يذوب فى الطبيعه حبا .. فهذا الغلام ليس فقط بعيد الخيال وهى سمة كل الشعراء والفنانين .. وانما هو لا تعنيه المادة فى شىء .. وغذاء الروح عنده هو أفضل غذاء فهو يلتهم جمال الطبيعة . ضوء النجوم ولون الجبال وسرابه ليس كشراب الناس انه يسرب عطر الصنوبر والياسمين .

حتى عملية أسر أو اختطاف القسر لم تتوان فيها الشاعرة عن رسم لوحة ناطقة بالحياة .. القسر ينساب فى كبد السماء يذرع الأفق حالما الى أن يأتى عاشقه وصائده فيمس جبينه مسا رقيقا ثم يقبل أهدابه ثم لا يملك مقاومة الاغراء فيأخذه معه الى كوخه لا يمل اليه النظر .

وفى الكوخ أيضا حيث تدخل الجماهير الزاحفة قدمت الشاعرة لوحة معبرة جديرة بالتأمل والامعان الكوخ يحبط به السكون والظلام والغلام نائم حالم والرعاة يقفون فى حيرة وتردد يسألون أنفسهم هل مثل

هذا الغلام الصغير البرىء قادر على أن يسرق القمر ..
ثم أين هو القمر .. ؟

أما الشجرة التى نبتت من بذرة القمر فقد أحسنت الشاعرة تصويرها فجدائلها مكسوة بالخضرة وثمارها ذات لون غريب وجميل جعل حتى النجوم تتساءل عن سره فى حيرة وهى لا تدرى أن مصدر الشجرة هو أبوها القمر وجعل النهار ــ الذى يسطع بضوء الشمس يغار من ضوئها وجمالها ... أما الشجيرات المقلدة الجامدة فمن حقها طبعا أن تجن لأنها رأت بينها شجرة ليست كسائر الشجر لا أغصانا ولا ثمرا ولا عطرا ...

تلك القصيدة شجرة القمر هى قمة انتاج نازك الشعرى كله ..

تـــونس

مع هند عزوز في الدرب الطويل

جولة مع الأديبة التونسية
هند عزوز فى الدرب الطويل

من يتجول مع الأديبة التونسية هند عزوز فى الدرب الطويل يقوم لاريب برحلة شائقة يتعرف خلالها على جوانب شتى من الحياة الاجتماعية فى تونس فى النصف الثانى من القرن العشرين من خلال رؤية نسائية أحيانا ورؤية محايدة أحيانا أخرى وبأسلوب يتسم بالصراحة التى قد تصل الى حد الوعظ المباشر تارة وبأسلوب متمكن يكتسى غلالة من الفن الرفيع تارة أخرى •

وقبل أن نجوس خلال الديار ــ ديار المجتمع

التونسى المعاصر ويعنى أدق خـلال الدرب الطويل للأديبـة هند عزوز لا يفوتنى أن أشير الى أن هـذه المجموعة طبعت أربع مرات فى فترات متقاربة مما يعنى أنها تمثل لونا من ألوان الأدب التونسى الحديث وتعد ابنة من لبنات القصـة القصـيرة فى مرحلة النهضـة الأدبية التى تعيشها تونس منذ ١٩٥٥ حتى الآن •

أولى قصص المجموعة « على طرفى نقيض » تروى قصة زوجين حديثى العهد بالزواج خالد وسليمـة •• الزوج ينتمى الى الطبقة المتوسطة محدودة الدخل لكنه يقرض الشـعر ويهوى الأدب ويعيش فى عـالم أبعد ما يكون عن المـاديات وعلى النقيض من ذلك زوجة سليمة التى تتوق لحياة البذخ والثراء وكان طبيعيـا أن تسود حياتهما الخلافات من وقت لآخر وعندما يجلس الاثنان فى حديقـة منزلهما الصغير يتحدث الزوج عن أزهار الحديقة التى يفتتن بجمالها لكن الزوجة لا تأبه لهذا الجمال وتقول له ان الزهور سـتكون أجمـل لو وضعت فى اناء زهور فاخر •

وتأتى ليلة عيد ميلاد سليمة وتقيم الأسرة حفـلا

بسيطا دعى اليه بعض الأقارب والأصدقاء وقدم خالد لزوجته هديتين .. الأولى باقــه من زهور البنفسج والثانية قصيدة من بنات أفكاره صفق لها الحــاضرون وفى اليوم التالى نصحت الزوجة عما كسته فى صـــدرها من ضيق .. كيف يهتم زوجها بالسيد قاسم ولا يولى عنايته شخص أكثر ثراء وأوفر جاها هو السيد مصطفى ثم أين ما قدمه لها هـــدية من الهـــدايا التى قدمها لها أهلوها .. وينتهى الحديث الى شجار وأصبح كل منهما يحس بأن عش الزوجية يهدد بالانهيار .

لم يكن غريبا فى ظل الجو النفسى المتوتر أن يخلو خالد الى نفسه يتــأمل الموقف ويعيد حساباته ويمعن النظر فى أساوبه فى الحياة .. أخذ يفكر فى البحث عن الثروة ليرضى زوجته ويوفر لها ما تريده من حلى وأشياء ثمينة وعقد العزم على سلوك ذلك السبيل الذى يؤدى الى الثراء .

وعندما شغل خالد بمشاريعه الطموحة للبحث عن المــال وجدت سليمة نفسها فى فراغ ولم يكن غريبــا أن تمــلأ ذلك الفراغ بمطــالعة الكتب واستخلاص

العبر .. جلست ساسنه ذات ليلة بطالع سير عظماء الرجال من العلماء ورجال السياسه الدين خلدهم التاريخ وما حفلت به حياتهم من مواقف تمسكوا فيها بالقيم والمثل العليا والتضحيه ونكران الذات .. وقالت لنفسها .. خالد محق فى تفكيره .. هو يريدنى أن أحلق معه فى سماء العبقرية .. وكنت كدجاجة لا تستطيع الطيران .. ما أحقرنى وما أنبلك يا زوجى .. الحمد لله الذى كشف عن بصيرتى وأصبحت أؤمن بالقيم .

كان الوقت متأخرا الحاديه عشره مساء وزوجها لم يحضر بعد .. كان مجتمعا مع بعض رجال الأعمال ومشغولا بتأسيس الشركة التى ستدر المال .. وأخيرا حضر .. سليمة تغمغم .. نعيم الروح يخلد الروح .. ونعيم الجسد يفنى مع الجسد .. الحمد لله الذى وحد فكرنا كما كنا نؤمن .. قاطعها خالد .. لا لم تكونى مخطئة أنا لم أكن أفهم الحياة .. وأخذ خالد يزف لزوجته بشرى تأسيس الشركة التى رصدت لها المبالغ الكبيرة .. ويحتدم النقاش وينطوى كل منهما على نفسه .

وفى الغد تذهب سليمه الى احدى المنتديات الثقافية لتستمع الى محاضرة عن شهيرات النساء بينما انطلق خالد الى سباق الخيل ليراهن على حصان ..

أول ما يسترعى الانتباه بالنسبة لهذه القصة أن المؤلفة لجأت الى أسلوب السرد المتتالى للأحداث رغم كثرة تلك الأحداث وطول الفترة الزمنية وهو أمر يتنافى الى حد ما مع الاتجاه الحديث فى بناء القصة القصيرة حيث يعنى المؤلف أكثر ما يعنى بالتركيز على الحدث الرئيسى فى القصة فى اطار فترة زمنية محدودة ولا يوجد ثمة ما يحول بين المؤلف وبين الاستعانة بأحداث فترة زمنية سابقة طالت أو قصرت من خلال ما يسمى بالفلاش باك . وباستثناء هذه الملحوظة فالقصة جيدة البناء أجادت فيها المؤلفة تصوير تيارات التحول التى عصفت بالعالم بأسره خلال النصف الثانى من القرن العشرين حيث أخذت الماديات تزحف على حساب الروحانيات والقيم والمثل العليا ... وأجمل ما فى القصة انها لم تسلم بذلك التحول على اطلاقه بل جعلته يتأرجح بين الزوجين وأعادت التوازن فى نهاية

القصة بين الماديات والروحانيات لكن على حساب الزوج المسكين الذى كان فى بادىء الأمر ضحية للزوجة التواقة الى الثراء وأسبغت عليها المؤلفة فى نهاية القصة كل صفات النبل والخلق الكريم فى تحيز ظاهر لبنات جنسها والتحيز هنا فى رأيى ليس فيه ما يعاب على المؤلفة وانما على العكس يحمد لها لأنه ينطوى على دعوة الى اهتمام المرأة بالقيم والمثل العليا وطرح الزيف والمظاهر والجرى وراء الثراء السريع وهى كلها آفات المجتمع العربى المعاصر بأسره وليس المجتمع التونسى وحده •

وبجانب ذلك فالقصة تعبر عن مضمون انسانى قديم قدم الأزل •• يتمثل فى هذه الحكمة •• ان مشكلتنا نحن البشر أننا عندما نجد لا نستطيع •• وعندما نستطيع لا نجد •• هذه المفارقة الانسانية التى تلازم كل المجتمعات وتزداد وضوحا مع التطور الاجتماعى وتشابك العلاقات الاجتماعية •• استطاعت الأديبة هند عزوز أن تلمسها لمسا رقيقا من خلال

عرض هـذه الصورة الاجتماعية التى تنبض بالحيوية ولا تخلو من التشويق .

وأخيرا فان لغة الكاتبة لغة عربية سليمة وتتفاوت بين اللغة الجزلة واللغة المبسطة لكنها تنبىء عن معايشة الأدب العربى قديمه وحديثه .

وننتقل من الصراع السافر بين خالد وسلمه الى صراع آخر مستتر قد يكون أشـد عنفا يدور فى أعماق احدى الأمهات كما تصوره الكاتبة فى قصة « عواطف أم » .. الأم تلح على ابنها عزيز أن يتزوج لتحقق أعز أمنية لها فى الحياة عزيز يقبل الفكرة ويتفق مع والدته على الزواج من سناء .. وتبقى الأم مع العروسين تعيش معهما تحت سقف واحد .. وتمضى الأيام والأسابيع والشهور وتحس الأم انها أصبحت غريبة عن المنزل وأن الزوجة قد استولت على قلب الابن وظفرت بعواطفه .. ، .. فى الوقت الذى شعرت فيه سناء أن هذا البيت الذى تعيش فيه مع زوجها ووالدته ليس هو المملكة الصغيرة التى منت النفس بها ..

انها نريد أن نكون المسئوله عن هـذا المنزل •• وربه بيت بمعنى الكلمه لا أن نعيش فى نظـام لا دخل لها فيه وهيىء لها أن أم عزيز تحتكر كل عواطفه •• وكان طبيعيا أن تتولد الخـلافات وتتطور •• وقررت الأم الانفصال عن ابنها وزوجته رغم معارضـة ابنها الذى أذعن فى خانمة المطاف وتغادر الأم المنزل الى منزل آخر حيث تعيش وحيدة •

ورزق عزيز بولد بهى الطلعه وأحس بسـعادة غامرة وقال فى غمرة الفرحة : من يطلب منه شيئا يعطه اياه •• وتساءلت الأم والدة عزيز هل يعدها بذلك وما أن أجاب بالايجاب مؤكدا الوعد حتى قالت له : احتفظ بوعدك •• الطلب سأخبرك به فيما بعد •

وسمى الولد عادلا واستمرت الافراح أسـبوعا كاملا وبعد ثمانية أشهر أرسلت الأم الى ابنها رسـالة (تحياتى وقبلاتى لعادل •• وبعد فاننى منذ ثمانيـة أشهر وأنـا أعد الأيام شهورا والشهور سـنوات هل تعلم لمـاذا ؟ •• اننى قررت أن أقدم لك طلبى الذى

وعدتنى بانجازه من ثمانية أشهر •• أنا مصرة ومستمسكة بطلبى •• اننى اطلب منك شيئا عزيزا عليك •• فقد قتلتنى الوحدة وآضنانى الانتظار •• اننى اطلب منك أن تهبنى ابنك••ابنك عادل••هو الذى أطلبه منك•• لا تضطرب أنا جدته قبل كل شىء •• ان اعطيتنى طفلك سيرزقك الله ولدا سواه •• أما أنا •• الا تستطيع ان تفعل شيئا فى سبيل أم بأعز ما يملكه انسان •• انى محرومة •• تحملت عن وحدى راضية سعيا وراء سعادته الزوجية •• أما سناء قل لها على لسانى •• لا تحزن •• لم أرد الا الخير) ••

وفرغ عزيز من مطالعة الرسالة مضطربا •• وقال لنفسه •• أجل يا أماه حان وقت التضحية •• وفهمت الآن السر الحقيقى لهجرك لنا •• لكن الويل كل الويل لسناء التى عبثت بعواطف أم مكلومة دون علم منى •

رفع صوته مناديا سناء بلهجة هستيرية •• أحس بركانا على وشك الانفجار فى أعماقه •• لاحت سناء •• لم يستطع أن يقول شيئا •

فى هذه اللحظه وصلت الأم فجأه وسلمت عليهم وأخبرها عزيز أنه قرأ الرســالة الأم تقول ليتك لم تفعل .. ليتنى وصلت قبل الساعه بلحظات .. ســناء لا تفهم شــيئا مما يقولانه .. صــوت عادل يتعــالى بالبكاء فى حجرة مجاورة .

الأم سير الى ابنها قد عدلت عن كل ما جاء فى الرساله وطلبت اخفاء أمرها عن ســناء .. وطلبت من ابنها ألا يظن بها الظنون ويلتمس لها العذر .. لانهــا تسير بفعل طاقة عنيفة لا تستطيع لها ردا .. انها عواطف الأم المكلومه نحو ابنها الوحيد « ان العاطفة التى حملتها بعيدا هى ذاتها التى أرجعتها لكى يعيش الجميع ســويا تحت سقف واحد فى بيت ينير جنباته هــذا الملاك الذى يربطهم برباط الأبوة والأمومة والجدودة .

والحق الذى لا مراء فيه أن موضوع القصة ليس فيه جديد وقد طرق من قبل مرات ومرات لكن الجديد فى هذه القصة القدرة البارعة على تصــوير أدق خلجات النفس البشرية والغوص الى أعمــاق الأم فى حالات القرب والبعد والرضى والغضب فى كافة المراحل

التى مرت بها الأحداث •• مرحلة ما قبل زواج عزيز ومرحلة بعد الزواج وقبل الانجاب والمرحلة التالية لمولد الطفل عادل •• وهـذا الصراع الذى دار فى أعماقها•• وقد جاءت الأحداث منطقيه تماما مع طبيعة مشاعر الأم وعواطفها رغم ما قد يبدو فى الظاهر من تناقض •

الأم لم تستطع الصمود طويلا أمام العاطفة الجارفة التى كانت تلح عليها للاستئثار بمحبة الابن واهتمامه ولم تكن تملك فى هـذه المرحلة سوى الابتعاد — على كره منها — عن منزل الابن وزوجته •• لكن الابتعاد عن الابن لم يطفىء نار العاطفة المتقدة وانما زادهـا اشتعالا •• وأخذت تمنى النفس وتعد الأيام والليـالى حتى يأتى الى الدنيا الطفل الوليد وتجد فى قربه العزاء كل العزاء عن الابتعاد عن والده •• وجاء الحل السعيد أو النهاية السعيدة فى انضمام الشمل •• شمل الأسرة كلها تحت سقف واحد •

واذا كانت المهارة فى التحليل ورسم شخصية الأم قد رفعا من قدر القصة رغم بساطة الموضـوع فان فكرة الرسـالة والتحول الطـارىء فى موقف الأم بعد

ارسالها قد بعث فى أوصـــال القصـــة كثيرا من الدفء والحيوية بعد ما شابها من رتابة فى الصفحات الأولى •

واذا سلمنا بفكرة وجود أدب نسائى متميز تعبر فيه الأديبة أو الشـــاعرة عن عواطف ومشـــاعر الأنثى تعبيرا خاصا يفوق تعبير الأديب أو الشاعر عن هـــذه العواطف والمشاعر فان هـــذه القصة « عواطف أم » تعتبر نموذجا طيبا للأدب النسائى فى مجـــال القصة القصيرة فى شمال أفريقيا •

ومن الأسره التى تنجب فيها الزوجة الوليد الأول دون ما نسة ابطاء ننتقل الى أسرة أخرى لم يســـعدها الحظ بهذه الهبة الالهية طوال فترة الحيـــاة الزوجيـــة كما هو الحال فىقصة « زبيدة » •

تزوجت زبيدة فى منتصف العقد الثانى من عمرها من زوج ميسور الحال واعترفت هى وأقاربها من خير الزوج •• ومرت تسع سنوات كأنها حلم •• أحست بعدها بالانقباض والتفاهة •• بل وبالنقص •• انها لم تنجب أولادا ونداء الأمومة يصرخ فى كيانها •

وبينما كانت هذه الأسرة الميسورة الحال تعانى من عدم الانجاب .. كانت هناك أسرة رقيقة الحال تعيش على مقربة منها تعانى من كثرة الأولاد .. وضيق الرزق حتى ان فاطمة الجارة الولود عقدت العزم على التخلص من طفلها العاشر الذى كان لايزال فى احشائها جنينا وقرب اسقاط الجنين .. وتلقفت زبيدة هذا الخيط وعرضت على فاطمة صفقة ما لبثت أن وافقت عليها .. تحتفظ فاطمة بالجنين فى أحشائها حتى تحين ساعة الولادة ثم تتبناه زبيدة وزوجها مدى الحياة وظل الأمر سرا على الجميع .. وجاء الوليد المنتظر بنتا اسموها وحيدة .

وتمر الأيام ويتقدم لطلب يد وحيدة شاب ثرى اسمه عادل .. وجاء يوم عقد القران .. ودون ما سابق انذار .. قلبت فاطمة لزبيدة ظهر المجن وهددت بافشاء سر وحيدة (لغاية فى نفسها) على تعبير المؤلفة .. ومر أسبوع وزبيدة فى وجوم دائم وصمت رهيب حتى حارت وحيدة فى شأنها .

لم تطق زبيدة صبرا وهى مهددة من فاطمة فى

كل لحظة بافشاء السر فاغتنمت هى فرصة موانبه وأسرت الى عادل بالحقيقة كاملة •• وبدلا من أن يثور عادل كما توقعت زبيدة ابتسم قائلا لها •• انت لم تفضى الى بسر •• كنت أعلم كل ذلك •• ووحيدة أيضا تعلمه وطلبت اخفاء علمها ولما صارحته وحيدة بالحقيقة تضاعف حبه واخلاصه لها •• وصمم على عقد القران •• وقال يطمئن زبيدة المشدوهة •• لا تأبهى لعاطفة وزوجها وأنا اعرف كيف اتعامل مع أصحاب الصفعات الجارية من هذا النوع •• ارتاحى يا خالة •• اذا كان لك بنت فقط فى الماضى •• فقد أصبح لك الآن ولد وبنت •

هذه القصة تسير فى ذات اتجاه القصة السابقة « عواطف أم » •• دقة تصوير مشاعر الأنثى وعلى الأخص عواطف الأمومة حتى لو كانت أمومة مصطنعة غير حقيقية •• والنهاية السعيدة التى تأتى فى ختام القصة بعد أن تتعقد الأمور وتتلبد الغيوم ••• كما أنها تتفق مع القصة الأولى « على طرفى نقيض » فى التعبير عن المضمون الانسانى •• ان مشكلتنا نحن البشر أننا

عندما نجد لا نستطيع وعندما نستطيع لا نجد .. كما تتفق معها أيضا فى كسرة الأحداث المتتالية فى فترات زمنية مختلفة .

غير أن أهم ما يستوقف النظر بالنسبة لهـــذه القصة بالذات هو تأثر الأديبة هند عزوز بالأدب الفرنسى وعلى الأخص بقصص جى دى موباسان .

موضوع قصه « زبيدة » يذكرنى للوهله الأولى بقصة موباسان « بين الحقول » التى تروى فيها قصـــة زوجين ثريين حرما من نعمـــة الانجاب أوقفا العربـــة الفـــاخرة التى كانا يستقلانها ونزلا بين الحقول حيث منزلين متواضعين لبعض الفـــلاحين البســـطاء وتدور مساومة وتدور حوار وتقبل احدى الأسرتين ما رفضته الأخرى وتمت الصفقة وتسلمت الســـيدة الثرية على الفور طفلا كان يجلس مع أبويه قرب المنزل وتعهدت بتبنيه والانفاق عليه مع تقديم معونة دائمـــة لأسرته وتنطلق العربة بالزوجين وقد اكتملت سعادتهما بصحبة هذا الطفل الجميل .. ومرت الأيام وكبر الطفل وأصبح شابا مكتمل الرجولة ويأتى لزيـــارة أسرته وتحتفـــل

الأسرة بهذه الزيارة احتفالا كبيرا وتتميز الأسرة الأخرى غيظا ويثور ابنها لأن أهله رفضوا أن يكون هو هذا الطفل المتبنى .. سعيد الحظ ومن فرط ضيق هذا الابن الآخر يفتح باب المنزل ويغادره الى المجهول .

واضح أن هند عزوز قد تأثرت بجوهر القصة دون التفاصيل كما أن تأثرها بجى دى موباسان لا يقف عند حد الموضوع بل هو يتعداه الى الأسلوب والبناء القصصى بصفة عامة .. هذه المفاجأة التى جاءت فى نهاية القصة على لسان عادل العرس الثرى .. وذلك الصراع بين قوى الخير متمثلة فى زبيدة وزوجها وابنتهما المتبناه وحيدة من جهة وبين قوى الشر متمثلة فى فاطمة وزوجها من جهة أخرى هذه المفاجأة وذلك الصراع اللذان يعدان من ركائز بناء تلك القصة .. هما من أبرز سمات أدب جى دى موباسان وخاصة فى مجال القصة القصيرة .

وخلال تجوالنا مع هند عزوز فى الدرب الطويل نلتقى بنماذج بشرية مختلفة تمر بظروف نفسية

أو اجتماعية خاصة •• مثل آمال فى قصة « الخائفة »
وآمال هــذه زوجة وأم لعديد من الأولاد وموظفــة
باحدى المصالح الحكوميه تنتابها الهواجس والمخاوف
وتتصـــور ان هناك من يتربص بها لقتلها وتعيش من
وقت لآخر لحظــات من الرعب تفضل فيها الموت على
الحياة •• وحار فى أمرها الطبيب النفسى وبقيت آمال
فى المصحة أربعين يوما •• وقبل أن تغادر المصحة دعـا
الطبيب زوجها للقاء منفرد صارحه فيه بحــالة زوجتـه
وكاشفه بأسباب الأزمة أو المحنــة النفسية التى مرت
بها وقال الطبيب لو كنت أنا مكانها لخلت الضباب دخان
مدافــع والزهور المبعثرة ألغاما متفجرة ولاضــطربت
أعصابى كما اضطربت أعصابها •

وتضع الطبيب يده على مكامن العلة •• الزوجة
أم لستة أطفال كبيرهم فى عامه العــاشر وصغيرهم فى
شهره السادس وهى موظفة فى قسم الحسابات بادارة
البريد وسيدة بيت تشرف على شــئونه وتقوم بأهم
أعماله •• ان هى قامت بكل هذه المجهودات باختيارها
وحماس منها •• فان الجسم لا يحتمل ذلك •• الحسم

يطلب الراحه والأعصاب تحتاج الى الهدوء والرفبه ..
واذا شاهدت فيلما بوليسيا وهى مجهدة فان اعصابها
لم تعد تحتمل أى شيء .. ويسأل الزوج عن العلاج ..
ويرد عليه الطبيب بان السبيل الى ذلك بدايته اضعاف
ذاكرتها مؤقتا حتى تبهت الصور التى رسمها الخوف
وجسمها الى أن تشلل لها حقيقة .. وفى نفس الوقت
تغذى جسمها بفيتامينات تقوى أعصاب المخ وتعالج
الضعف العام .

ويضيف الطبيب .. واذا شفيت الآن شفاء كاملا
فالأجدر بها تجنب الحمل والولادة اذ لا يخفى ما تجره
هذه الفترة من اضطرابات نفسية يخشى أن تعود على
أثرها الى حالتها السابقه ثم ان مبادرتها على العمل
شيء له أهميته فى نظرى .. وهى أم لستة أطفال ..
فهل ستكون مطمئنة حقا عندما تكون فى عملها ان
المرأة التى يصبح لها من الأولاد كثرة لا يمكن أن
يكون مكانها غير المنزل وهنا تتدخل الزوج فى الحديث ..
ان اقتصادياتنا لا تسمح لنا بالاقتصار على دخل واحد
مع أنها ذات ثقافة ومقدرة .

ويرد الطبيب .. وهذا سبب من الأسباب التى من أجلها دعت الحكومة الى الاقتصاد فى النسل أو ما يسمى تنظيم العائلة .. فمن صالح العائلة اقتصاديا ومن صالح البلاد اجتماعيا أن تشارك المرأة فى الأعمال الخارجية حتى تفيد وتستفيد من ثقافتها ومقدرتها .. وينصح الطبيب فى خاتمة المطاف بأن تتجنب الزوجة ولو الى حين مشاهدة الأفلام البوليسية وبذلك تقضى على بذور الهواجس والأفكار السيئة التى تعشش فى أعماقها .

هذه الصورة القصصية ولا أقول القصة أقرب ما تكون الى التحقيق الصحفى أو التقرير العلمى أو خطبة اجتماعية يضرب فيها الخطيب الأمثال على أهمية تحديد النسل ويؤكد على حق المرأة المتعلمة فى تقلد الوظائف العامة ويحذر من مخاطر الافراط فى مشاهدة الأفلام البوليسية .. وهى المحاور الثلاثة التى دارت حولها هذه الصورة القصصية .

واذا تجاوزنا عن عدم اكتمال البناء القصصى فاننا لا نلبث أن نصطدم بالأسلوب النثرى التقريرى المباشر

الذى يصطبغ بالوعظ والارشـــاد الصريحين وهـــذا الأسلوب يسلب القصة ــ أى قصـــه ــ آعز مقوماتها لمسة الفن وروعة التعبير ولا يظننى أحد اننى أجادل فى حق الأديب فى اعتناق رأى معين أو الترويج لفـــكرة ما ، وانما كل ذلك رهن بان تأتى الدعـــوة الى الرأى أو الفكرة من خلال نسيج القصة أو المسرحية ومجريات أحداثها دون ما ثمة افتعـــال أو حشـــو ودون ترديد لعبارات الوعظ والارشاد •• وذلك ما عمد اليه الكاتب النرويجى هنريك ابسن الذى روج لفكرة تحرير المرأة مما كان يكبلها به المجتمع النرويجى فى عصره من قيود وأغلال •• وذلك من خلال مسرحيتى « بيت الدمية » و « السيدة البحرية » والمسرحيتان خاليتان تماما من أى تعبير انشائى أو تقريرى أو حتى عبارة من عبـــارات النصح والارشاد •• ومع ذلك تعدان قمة فى البنـــاء المسرحى المتكامل ولازالتا تدرسان حتى الآن فى كثير من جامعات العالم باعتبارهما نموذجين للكتابة المسرحية الجيدة •

وبجانب القصص التى تصور مواقف ومشكلات

اجتماعية تحوى المجموعه بعض القصص ذات الطابع الانسانى ومن ذلك قصة « الحمامتان » وبطل هـذه القصة نبيل صبى صغير فى مراحل دراسته الأولى أوتى حسا مرهفا جعله يتعاطف مع الطيور التى تتم تربيتها فى المنزل مثل الدجـاج والحمام •• وعندما كسر جناح دجاجة أصابه الهلع وصمم على عرضها على طبيب يداوى الجرح ويعالج الكسر •• وكان شـديد الولع بزوج من الحمام يقوم على تربيته وقد شغله الاهتمـام بهذا الزوج من الحمام عن دروسه •• وتتآمر الأم والأب على التخلص من زوج الحمام هـذا •• لكن دون أن يصدم الصغير فى مشاعره ويأخذ الوالد ابنه فى جولة خارج المنزل ويعده ويمنيه بما يثلج صـدره وعندما يعود الاثنان الى المنزل بعد حين يشير الأب الى الأم أن الخطة قد نجحت فيطمئن بالها وتفهم ان الأب قد اقنعه بذبح الحمامتين •• ويفتح نبيل الثلاجة فجـأة ليتناول بعض المـاء ويكاد يصعق اذ يجد الحمامتين مذبوحتين •• وتواجهه والدته •• أو لست موافقـا على ذبحهما •• ويجيء رد نبيل متخاذلا كان يود توديع

الحمامتين .. تقبيلهما على الأقل قبل أن نذبحا .. ثم انحنى يقبل الحمامتين لحما طريا .

ونضيف المؤلفة الى ذلك .. أن نبيلا لم يمرض ولم يصدم بل ثابر على الدرس ونجح فى الامتحان وأصبح اليوم رجلا فعلا يعرف كيف يعدل عن ميوله ويقابل المكاره بصدر رحب وصبر جميل .

هذه اللمسات الانسانية الرقيقة التى تمثلت فى جو الألفة بين الصبى الصغير والحمامتين والدجاجة من قبل وشدة الحرص عليها والتعلق بها رفعت كثيرا من قدر القصة كما أن القصة اتسمت بحسن العرض والتحليل . واجادة رسم الشخصيات .. لكن ومعذرة للأديبة هند عزوز ــ كنت أود لو أنها حذفت تماما الجزء الأخير من القصة الذى تحدثت فيه عن النجاح فى الامتحان وتحول الصبى نبيل الى رجل يقارع الحياة ويتحدى للمكاره .

هذا الجزء الأخير فى رأينا لم يضف جديدا الى القصة بل هو حشو انتقص من قدرها ففى هذا

الجزء انزلقت المؤلفة الى العبارات الخطابية التقريرية التى تتسم بروح الوعظ والارشاد الصريحين كما أنها زحمت القصة بأحداث وأضافت فترات زمنية تتجافى مع طبيعة القصة القصيرة على النحو الذى ألمحنا اليه من قبل •

وأيا كان الرأى فى مستويات القصص التى زخرت بها مجموعة الدرب الطويل فان الذى لا مراء فيه ان عند عروز هى بنت عربى خالص نشأ وترعرع فى أرض عربيــة هى تونس الخضراء وأنها قد ارتوت من معين الثقافة العربية أكثر بكثير مما ارتوت من معين الثقافة الغربية وانها صاحبة قلم جاد وشريف يستحق التقدير والاحترام •

الجزائـــر

مفـدى زكريـا
واللهب المقدس

الشعر العربى فى شمال افريقيا
مفدى زكريا
واللهب المقدس

الشاعر مفدى زكريا لقبه الأدبى « ابن تومرت » ولقبه النضالى « شاعر الثوره الجزائريه » ولد فى الجزائر فى شهر أبريل ١٩١٣ وتلقى علومه فى مدارس الجزائر ثم معهد الزيتونة بتونس وقد شارك فى معارك تحرير الجزائر ودخل السجن خمس مرات متوالية الى أن فر منه فى فبراير ١٩٥٩ .

وقد أهدى الشاعر ديوانه « اللهب المقدس » الى الدقيقة الواحدة من فاتح نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥٤ الى أول أصبح جزائرية حركها الأزل وحفظ بها القدر

الرابض على زناد البعث لتنطلق القذيفــة المسحورة الأولى فتسعر اللهب المقدس فى دروب بلاده الخالدة وأحراشها السكرى ورمالها العطشى وجبالها العضبى •

قسم الشــاعر ديوانه الى خمسه فصــول من أعماق بربروس ، سابيح الخلود ، نار ونور ، نبؤات شاعر ، من وحى الشرق •

الفصل الأول « من أعماق بربروس » هو أكثر فصول الديوان عناية بالثوره الجزائريه وأحداثها ويكاد يكون هو المعنى بعنوان « اللهب المقدس » •

وبربروس هــذا هو السجن الكبير الذى أعده المستعمرون للوطنيين من أبناء البلاد تنفذ فيه أحكام السجن والاعــدام وتجرى تحت سقفه أبشع صــور التعذيب وقد أحسنت الحكومة الوطنية اذ أحالته بعد الاستقلال الى متحف تاريخى يروى مرحلة من مراحل كفاح الشعب الجزائرى •

من أعماق بربروس انطلق الشاعر فى الهزيع الأخير من ليل ١٨ يوليو سنة ١٩٥٥ وهو مكبل بالقيود ينشد

قصيده « الذبيح الصاعد » أثناء تنفيذ حكم الاعدام فى أول شهيد تشن المقصلة المرحوم « أحمد زبان » بدأ الشاعر بتصـوير الشهيد وهو يرتمى درجات المقصله :

قام يختـال كالمسيح وئيدا
يتهـادى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر كالملائك أو كالطفل
يسـتقبل الصـباح الجديـدا

شامخـا انفـه جلالا وتيهـا
رافعا رأسـه يناجى الخلودا

رافلا فى خلاخل زغردت تملأ
من لحنهـا الفضـاء البعيدا

ويعنى الشاعر بتسجيل الكلمات الاخيرة للبطـل الشهيد التى يوجه الحديث فيها الى جلاديه والى الموت ويعبر فيها عن عقيدته التى لا تتزعزع فى أن استشهاده حياة لبلاده •

اشنقونى فلسـت اخشى حبـالا
واصلبونى فلست أخشى حديدا

وامتثل سافرا محياك جـلا
دى ولا تلتثم فلسـت حقـودا

وافض يا موت فى ما أنت فاض
أنا راض ان عاش شعبى سعيدا

أنا ان مت فالجزائر تحيا
حرة مستقلة لن تبيدا

ويعنى الشاعر بابراز الحق والعدل فى معركة التحرير فيتساءل :

أمن العدل صاحب الدار يعرى
وغريب يحتل قصرا مشيدا

ويجوع ابنها فيعدم قوتا
وينال الدخيل عيشا رغيدا

وفى نهاية القصيدة يعود الشاعر الى ذكر الشهيد (زبان) فيخاطبه ورفاقه مؤكدا لهم أن استشهادهم قد جعل المجاهدين أقوى عزما وأكثر اصرارا على بلوغ الغاية وانهم يعاهدونهم على الجهاد حتى النصر ويختم قصيدته هكذا :

يا « زبانا » ويا رفاق « زبانا »
عشتم كالوجود دهرا مديدا

كل من فى البلاد أضحى « زبانا »
وتمنى بأن يموت « شهيدا »

أنتم يا رفاق قربان شعب
كنتم البعث فيه والتجديدا

فاقبلوها ابتهالة صنع الرشاش
أوزانها فصارت قصيدا

واستريحوا الى جوار كريم
واطمئنوا فاننا لن نحيدا

وكنت أود أن اعرض القصيدة كاملة لولا انها تقع فى ٦٨ بيتا وهي تعد فى مجموعها من أجود قصائد الديوان ولعل مرد ذلك فى المرتبة الأولى الى أن المؤلف أجاد اختيار اللقطات الانسانية التى جعلها محورا لقصيدته . ان اللحظة التى يقف فيها الانسان على مشارف الأبدية يودع الحياة لحظة رهيبة لاشك ويزيد من رهبتها وجلالها فى هذه اللقطة قسوة الظلم الذى يتعرض معه صاحب الحق لابشع أنواع العقوبات التى ينزلها الانسان بأخيه الانسان عقوبة الموت .

ويزيد من رهبتها وجلالها أيضا الغاية التى جاد من أجلها الشهيد بروحه ومظاهر الايمان والعظمة النفسية التى لازمته حتى آخر لحظة من لحظات حياته .

ذلك بالاضافة الى وجود الشاعر وحيدا فى زنزانة فى ذات السجن على مقربة من مكان المـأساة وفى حالة نفسية مهيأة للانفعال بالحدث •

كل ذلك أثرى القصيدة وأمدها بكثير من مقومات النجاح •

الصدق الفنى ، قوة الانفعال ، البراعة فى التصوير والعرض •

وأنه ولئن كان الشاعر قد تشعبت به السبل وهو يتحدث عن ثورة الجزائر ثم عاد فى النهاية الى موضوع القصيدة الأصلى وهو الحديث عن الشهيد زبان الا أن ذلك لم يسلب القصيدة وحدتها الفنية لأن أبيات القصيدة تشدها الى بعضها البعض وحدة عاطفة ووجدانية ، ذلك بالاضافة الى أن أجزاء القصيدة تعد فى نهاية الأمر بمثابة فروع لموضوع واحد هو تضحية الشعب الجزائرى وكفاحه فى سبيل حريته واستقلاله وكان الحديث عن استشهاد أحمد زبان بمثابة المدخل الى الحديث عن كفاح الشعب بأسره •

لكن والحق يقال : القصيدة لا تسير على مستوى فنى واحد ذالك أن الشاعر بعد أن أجـاد تصـوير موقف الشهيد وعواطفه وانفعالاته انزلق الى الأسلوب الانشائى ، بل وعندما استنفد طاقته الفنية فى تصـوير اللوحات الأولى فى القصـيدة لم يجد حرجـا فى أن يستلهم من قصيدة شهيرة لحافظ ابراهيم بعض المعانى وحتى بعض الألفاظ .

أمن العدل صاحب الدار بعرى
وغـريب يحتل قصرا مشيدا

هذا البيت لا يعدو أن يكون ترديدا للمعـانى التى ترددت فى قصيدة حافظ (مصر تتحدث عن نفسها) وعلى الأخص هذا البيت :

أمن العدل انهم يردون المـاء
صـفوا وان يكـدر وردى ..

وان كان بيت حافظ يتميز بالرمز الذى أتاح له الشمول فى المعنى فحافظ رمز فى البيت الى صفو الحياة وتكديرها بصفو النبع وتكديره .. وصفو الحيـاة يشمل كافة ألوان المتعة والسعادة والتكدير يشمل كافة

ألوان الحرمان والشقاء فى حين أن مفدى زكريا قصر المعنى فى البيت على المقارنة بين العرى والعيش فى القصر المشـــيد .

والقصيدة التالية فى الديوان « زنزانة العذاب رقم ٧٣ » لها بدورها قصة فقد زج بالشاعر فى زنزانة مظلمة بسجن بربروس اثر ان أسلمته زبانية العــذاب للسجانين يوم ٢٨ أبريـــل (نيسان ١٩٥٥) فهاجت فى أعماقه المواجد وانطلق ينشد فى ظلام الزنزانة :

ســيان عندى مفتوح ومنغلق
يا سجن بابك أم شدت به الحلق

أم السياط بها الجــلاد يلهبنى
أم خازن النار يكوينى فاصطفق

والحوض حوض وان شتى منابعه
ألقى الى القعر أم أسقى فانشرق

سرى عظيم فلا التعذيب يسمح لى
نطقا ورب ضعاف دون ذا نطقوا

والبيت الأول من الممكن أن يرمز الى معنى كبير لا أدرى هل استهدفه الشاعر أم لم يهدف اليه ذلك أن

الجزائر كلها فى ذلك الوقت سنة ١٩٥٥ كانت فى قبضة الاستعمار بمثابة السجن الكبير فيسوى عند الوطنى الأبى أن يغلق عليه باب السجن الصغير أم يخرج منه الى السجن الكبير .

والأبيـــات التى جاءت بعد ذلك تصـــور جوانب متعددة من التعـــذيب الوحشى الذى كان يتعرض له الأحـــرار فى الســـجون ومع ذلك فـــلم يصبهم وهن ولا ضعف ولم يستطع الجلادون أن ينتزعوا منه أسرار المعركة .. ويعود الى مخاطبة السجن ثانية :

ياسجن .. ما أنت لاأخشاك تعرفنى
من يحذق البحر لايحذق به الغرق

انى بلوتك فى ضيق وفى ســـعة
وذقت كأســـك لا حقد ولا حنق

أنـــام ملء عيونى غبطـــة ورضى
على صياصـــيك لا هم ولا قلـــق

وهذه الأبيات تدل بوضـــوح على مدى وفـــاء الشاعر وتمسكه بتقاليد الشعر العربى القديم فهو فى البيت الأول استعمل ضربـــا من ضروب البـــلاغة هو

الاطناب شمل الشطر الثانى بأكمله (من يحذق البحر لا يحذق به الغرق) .

وفى البيت الثانى استعمل ضربا من ضروب البديع هو الطباق (ضيق وسعة) .

أما البيت الثالث فقد بلغ وفاؤه فيه القمة لأبى الطيب المتنبى وهو القائل :

أنام ملء جفونى عن شـــواردها
ويسهر الخلق جراهــا ويختصم

وقد خصص الشاعر الفصـــل الثانى من الديوان « تسابيح الخلود » للأناشيد الوطنيـــة التى صاغهـــا بمناسبة حركة التحرير ومن ذلك النشيد الرسمى للثورة الجزائرية « فاشهدوا » الذى نظمـــه بسجن بربروس بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٥٥ ويقول فى مطلعه :

قســـما بالنـــازلات المـــاحقات
والدمـــاء الزاكيات الدافقـــات
والبنود اللامعـــات الخافقـــات
فى الجبال الشامخات الشاهقات

نحن ثرنـا فحيـاه أو ممـات

وعقدنا العزم أن تحيـا الجزائر

فاشــــهدوا

والذى يبين من خـلال الأناشـيد التى ضمنها المؤلف هذا الفصل أنه كان يتابع أحداث ثورة التحرير بوجدانه وقلمـه وأنه قدم للثورة من وراء القضـبان خلاصة فنه وفكره ليؤدى دوره فى الهاب المشاعر وشحذ العزائم والصمود فى المعركة حتى النصر .

والأناشيد بهذا الوضـع تعد جزءا لا يتجزأ من تاريخ الثورة الجزائرية .

أما من الناحية الفنية فهى تدخل فى عداد قصـائد المناسبات .. لكنها ليست على أية حال مناسبة تخص فردا بعينه أو أسرة بذاتها ولكنها تخص شعبا بأسره ولعل هـذا هو الذى جعل لتلك القصائد والأناشيد قيمة تبقى بها على مر الأيام رغم انتهاء حرب التحرير .

هـذا عن المضمون أما عن الأسـلوب فقد عمد الشاعر فى هذه القصائد الى التعبير المباشر ولجـأ الى

الأسلوب الحماسي الخطـابي واستخدم الألفاظ ذات الجرس الخاص التي تلائم الانشاد الجماعي وكان في هـذا منطقيا مع نفسه لأن هـذه القصـائد لم تكتب أساسا لتنشر على النـاس في صحيفة أو كتـاب وانما فاضت بها مشاعر الشاعر وجرى بها قلمه لتكون أناشيد جماعية يرددها الأحرار في الغابات والوديان وفوق قمم الجبال وعند السفوح وفي كل مكان كان جزءا من أرض المعركة .

وقد تضمن الفصل الثالث « نور ونار » مجموعة قصائد موزعة تدور حول كفاح الشعب الجزائري أثناء المعـركة .

ومن أجود القصائد التي جاءت في هذا الفصل قصيدة أنـا ثائر التي نظمها الشاعر أثنـاء فراره من السجن في طريقـه الى المغرب سـنة ١٩٥٠ تقول في مطلعهـا :

في الحنايـا
وسـواد الليـل قـاتم
مالت الألوان سـكرى

ثمــــلات

أودعتهـــا مهجــة الأقـــدار سرا

فى الزوايـــــا

بين ســـهران ونـــائم

ونجـــوم الليـــل حيرى

حالمــــات

ضارعات بث فيها الغيب أمـــرا

والمنايــــا

بين مظـــلوم وظـــالم

مثقـــلات ضفن صــــبرا

جانمــــات

ظللن يرقبن متى يطلعن فجـــرا

قام كالمـــارد .. يرتـــاد المنايـــا

وتهـــــادى

يمــــلأ العـــــالم بشرى

وتحدى الدهر لا يخشى الرزايـــا

وتمـــادى

يغمـر الاكـوان عطـــرا

ومضى يبنى على هـام الضحايا

ونـنـــادى

يلهـم التـاريخ ســـفرا

هذه القصيدة أو بالأحرى هـذه الأبيات منهـا سـحق منا أن نقف أمامها قليلا نتأملها ونتأمل مواطن الجمال منها .

لقد رمز الشاعر الى الحالة التى سبقت قيام الثورة الجزائرية بالليل القاتم والى الانطلاقة الأولى للثورة باشراقة الفجر .. لكنه لم يعمد الى صياغة ذلك فى أسلوب خطابى حماسى وانما عمد الى أسلوب أقرب ما يكون الى الأسلوب القصصى أفرغ فيه كل ما أوحت اليه به الثورة والليل والفرار من معـان .. فجـاءت صوره الشعرية وتعبيراته على السواء .. ذات حظ وافر من الاجادة والأصالة الفنية .

لقد اجاد تصوير الليل .. السواد قاتم والنجوم

حيرى •• والناس فى أحشائه فريقان سهران ونائم •• ومظلوم وظالم •

وقد حفلت الأبيات بعديد من الصور المبتكرة •

الاكوان نميل وهى سكرى فتودع مهجة الأقدار سرا من الأسرار والغيب يبعث فى النجوم الحالمات الضارعات أمرا جللا •

والمنايا وقد ضقن بالظلم يجنسن فى انتظار هذا السر وذلك الأمر •• اشراقة الفجر وقيام الثورة •

وقد تميزت تعبيرات الشاعر وألفاظه بالجزالة والرقة وحلاوة الجرس : الحنايا ، مالت الاكوان ، مهجة الأقدار ، حيرى ، حالمات ، ضارعات ، تهادى ، بشرى ، يغمر الاكوان ، يلهم التاريخ •

هذه القصيدة تقف جنبا الى جنب مع قصيدة « الذبيح الصاعد » التى صدر بها الشاعر ديوانه ولا أغالى اذا قلت انها تعد فى نظرنا قمة انتاج مفدى زكريا فى هذا الديوان •• ومن يدرى فقد تكون قمة انتاجه الشعرى كله !!

والفصل الرابع من الديوان بعنوان « نبؤات شاعر » وهذا الفصل يحوى ثلاث قصائد فقط أولاها « من يشترى الخلد ان الله بائعـه » •• وقد ألقاها الشاعر بمناسبة تدشين دار ابن باديس للطلبة الجزائريين التابعين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقسطنطينه فى ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٣ أى قبل اندلاع « اللهب المقدس » بما يقرب من عام يقول فيها :

يا شاعر الخلد حق اليوم تخليد
وخالد الشعر فم أين الأناشيد

صفها على المحفل الجبار قافية
نسمع لها من فم الأجيال ترديد

وانزل بدارات (سرسا) مطرقا أدبا
فبين أضلعها آباؤنا الصيد

وامش الهوينا ففى احشائها أمم
وفى جوانحها أسد مناجيد

ولعل القارىء يلمس ما فى هذه القصيدة من فتور فى العاطفة وفقر فى الصور الشعرية وتكلف فى

التعبير ونارجح الشاعر بين معاني أبي العلاء في قصيدته « غير مجد في ملتي واعتقادي » وصياغة المتنبي في قصيدته « عيد بأية حال عدت يا عيد » .

وقد بدأ الشاعر الفصل الخامس «من وحي الشرق» بقصيدة القاها في مهرجان الشعر العربي الثالث الذي أقامه المجلس الأعلى للفنون والآداب في ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ بعنوان رسالة الشعر في الدنيا مقدسة وختمه بقصيدة مطوله بعنوان « فلسطين على الصلب » وهي حوار بين الشاعر وفلسطين والعرب يبدأها هكذا :

أناديك في الصرصر العاتيه
وبين قواصفها الذاريه

وأدعوك بين أزيز الرصاص
وبين جماجمها الجاثيه

وأذكر جرحك في حربنا
وفي ثورة المغرب القانيه

وبعد أن يطول بالشاعر الحديث ترد عليه فلسطين :

أيا شاعر العرب ذكرتني
وهجت جراحاني الداميه

الى أن تقول عن قضيتها :

فلو كان لى أمر تدبيرها
لما احترت فى أمرها ثانيه
وكنت الجزائر فى زحفها
وحققت ـ بالشعب ـ آماليه
والهبتها فوق أرض الحمى
وحررت بالشعب أوطانيه
وغسلت عارا على جبهتى
وأعليت بالهامه الحانيه

ومن الحوار الذى أورده على لسان العرب هذه الأبيات :

فلسطين لا تيأسى اننى
سأصلح فى الشرق أخطائيه
لئن خنت فيما مضى أنه
يوبخنى ـ اليوم ـ وجدانيه

الى أن يقول :

أنــا الشعب والشــعب لا ينثنى
أنــا الحر ان حــلت الداهيــه

ويختتم الشــاعر قصيدته والديوان كله بهــدين البيتين على لسانه :

فــان تنصروا الله ينصركـم
وينجـز أمانيـــكم الغاليـــه

ولــن يخـلف الله ميعــاده
ولا ريــب ساعتنا آتيـــه

ورغم الروح الخطابيــة التى تشيع فى جنبــات القصيدة فان الشاعر اســتطاع أن يبعث فيهــا الدفء والحياة بهذا الأسلوب الحوارى الذى اتاح له الفرصة لكى يعرض قضية فلسطين من زواياها المختلفه دون أن يتسرب الملل . الى القارىء أو السامع .

ولم ينس الشاعر أن يؤكد ــ ومعركة تحرير الجزائر على أشدها ــ أن الطريق الذى سارت فيه الجزائر هو

الطريق الوحيد المؤدى الى النصر وانه لابد للعرب من سلوكه اذا ما أرادوا تحرير فلسطين من غاصبيها .

وقد بدت آثار ثقافة الشاعر الدينية فى معهد الزيتونة واضحة فى هذه القصيدة فيما اقتبسه من القرآن الكريم على النحو الذى رأيناه فى الأبيات التى عرضناها وعلى الأخص فى قوله الصرصر العاتية — فان تنصروا الله ينصركم — لن يخلف الله ميعاده .

وبعد فهذا هو « مفدى زكريا » أول شاعر جزائرى قدم الأمة العربية ديوانا مطبوعا من الشعر العربى .

وهذا هو اللهب المقدس تسجل حافل للجليل والهام من أحداث الثورة الجزائرية وقد يختلف الرأى حول مستويات الكتاب الفنية ويشتد الجدل حول بعض القصائد بالذات لكن الذى لا مراء فيه ولا خلاف حوله هو أن هذا الديوان يعد لبنة غالية وعزيزة فى صرح الشعر العربى فى المغرب والمشرق على السواء .

وألف تحية لشعراء الجزائر ""

المغرب

محمد الصباغ
وفوارة الظمأ

أضواء على أدب المغرب العربى
الحس المرهف فى ((فوارة الظمأ))

من الأمور المـألوفة فى المجال الأدبى أن يصدر من وقت لآخر كتـاب يضم مجموعة مقـالات تعالج موضوعا واحدا أو قضية معينة بذاتها .. أما أن يضم كتاب واحد مقالات مختلفة تتناول موضوعات متباينة فأمر لا يجرؤ عليه الا القليل من الأدباء ، ذلك أن مثل هذا الكتاب يتطلب مقدرة خاصة على اختيار الموضوع وعرضه وصياغته بحيث يكون لكل مقال قيمة ذاتيـة تبقى على الدهر ولا يؤثر فيها مرور الأيام والليالى ومن قبيل ذلك على سبيل المثال وليس الحصر فيض خاطر

أحمـــد أمين ووحى قــلم الرافعى وعبرات ونظـرات المنفلوطى ووحى ورسالة الزيات .

لذلك كنت مشفقا على الأديب المغربى الأستاد محمد الصباغ عندما أخــذت أطالع كنابــه « فوارة الظمأ » . ووجدته يضم ما يقرب من خمسين مقــالا كتبت فى أوقات متباعدة وتعالج موضوعات مختلفــة كنت مشفقا عليه أن يكون قد اكتفى بتضمين كتابــه بعض مشاهــداته اليومية العابرة بأســلوب يقرب من أسلوب الصحف اليومية لكننى ما كدت أغوص بين دفتى الكتــاب حتى وجدتني أمام فنــان صادق الحس بارع اللفتات يكتب بوجدانه ومشاعره ويفلسف كل شيء .. الحياة والموت .. الربيع والخريف .. الجبال والسهول .. ويصــوغ كل ذلك فى أســلوب عربى خالص ويتسم بالرشاقة والجزالة معا .

وفى مقال « خلود » وهو أول مقال فى المجموعة يعبر المؤلف صادقا عن شعور الأديب الذى يعتز برسالته فى الحياة وتهفو نفسه الى أعز ما تعطيه الحياة للأديب الخــلود .

(كل ما فى الوجود تتعرى .. حتى النسمة المترقرقة على خدود الأغصان ، حتى أشباح الوهم السارية فى مشاعر الظلمة الواهنة ، حتى النأمة التائهة فى مزالق الصمت الرهيب .

عاريا أرى ما فى الوجود وعاريا ألمسه .. فالزمن القديم والحديث فى ريشتى ألوان وأصباغ أرسم بها لوحة الخلود ، والمكان البعد والقرب عجينة من طين أنفخ فيها فتتحرك بالحياة ، والمطلق العميق والمدى السحيق زجاجتان أرى من خلالهما نطفة الحياة تفرخ وتلد وتتزاوج .

برقة خيال : أخلق عالما يمور بالسحر والحمام وصغار العصافير .

وبقظة حس : أحصد النجوم من مزارع الضوء وأختلس الأحلام من مضاجع الصبايا ومراقص الأعراس مشيدا لكم منها قصورا تروحون وتغدون وأحيانا تطيشون منها الى فراغ الزمن) .

ويستشعر الأديب المرهف الحس ان الخلود الذى

يحلم به لكتاباته لن يشـــهده فى حياته فيصـــدح وهو يعنصره الألم (غدا سيهوى جسدى من شرفة النجوم • فينكسر على الأرض شـــظايا عطر وسر ســـؤال مبهم وسنظل العوالم التى اكتشفتها لكم خالدة ، وستظلون أنتم تحيون فى عرصاتها الغيبية كلما فاح الزهر •• ولمع نجم وغرد طير وألقى سؤال ••) •

وبقدر ما يعشق الأديب الحياة ويتغنى بها بقدر ما يعز عليه فراقها فلا غرو أن يعاود أديبنا الحديث عن الموت فى مقال آخر بعنوان « هكذا اخترت منيتى » •

(••• وستغرب الشمس على وأنـــا تحت ملاءات التراب جذرا من الجذور وسيطلع القمر كما كان يطلع على ، وعلى النـــاس بالأمس ضاحكا لامعا مستبشرا وسيبقى نسيم الفجر ناشرا من جيب ضـــوئه النـــدى والفراشات على الحقول والروابى بسخاء وسيظل طريقى الذى أسلكه من بيتى الى مكتبى فى الصباح والمساء فى زحمة من الناس والدواب والسيارات ، وستبقى أمى وأمى وحدها ستبقى منتظرة على عتبة البيت••عودتى•

وفجأة بدون مقاومة منى ولا اعتراض ولا احتجاج وبدون ما سبب سأختفى مكفنا بالوحدة والسكينة ومشيعا بمناديل الورد والفل وأطفال النجوم ونبات الجداول •• وفى الحال سأتحول الى نبأ فى جريدة والى عبارات نعى فى رسالة والى حديث يدور بين أصدقائى فى الأسابيع الأولى كلما اجتمعوا ••) •

ويتصور المؤلف أن الحياة لابد أن ستعوض بلاده عنه بطفل جميل يقضى أعوامه الأولى فى الغابه ثم يتحول عنها الى المدينة يسير على دربه ويحمل رسالته •

(فى ذلك اليوم وفى الساعة الخامسة صباحا منه . سيلقى الفجر مع الندى فى حدائق بلادى طفلا ستكسوه الزهور بأكمامها وسيطعمه البنفسج من ذوب خدوده ، سيعيش فى الغاب مدة طويلة تائها فى الوهاد وشعاب السهول والأوديه ثم يدخل المدينة منتصرا •

احفظوا هذا التاريخ ، احفظوه وترقبوه ، وانتظروا ولادة هذا الطفل • هكذا اخترت يوم موتى: وهكذا اخترت منيتى فلقحتها بولادة هذا الطفل •

اخترتهـا من بين جميـع الأشـكال والألـوان ••
والأوضـاع ، ومن عديد الظروف وكتبت بها وصـية
للموت والحياة) •

وأمام سـتار الغيب يقف المؤلف حائـرا مشفقا
مترددا يود لو استطاع أن يمد يديه فيزيح تلك الحجب
والأستار ويروى ظمأه الى سره العميق فيخاطبه فى مقال
بعنوان (افتح لى بابك أيها الغيب) •

(بخيالى حضرت الموج والضوء والنجم وصفاء
الندى وعروب المنتهى فى أحداب الشفق كغروب طول
الصفصافة السامقة فى مجرى النسيم • لقد مللت المسير
وتورمت رجـلاى من بعد الطريق وليس لى دليـل
ولا قطرة زيت فى سراجى ولا نبع ولا رفيق ولا حبيب
ولا خبر عن هـذه المجاهل والقفار والسـؤال على
لسانى شعلة تحرقنى والمفاتيح فى يمناى تقلقنى وتعذبنى
وتزرع الصدأ فى عينى •

أين أنـا أجبنى أيها الطريق ؟ •• بمفاتيحى فتحت
أبوابـا ونوافذ وسراديب وشـموقا وسطوحا وسراين
أجسام مختلفة مفتشا عن ذلك المجهول صائحا :

أين أنت أيها السر الكبير العميق ؟ .

أرنى وجهك ايها الغيب . انى فى حيرتى وذهولى اضرع واتوسل اليك حنانك وعطفك .. أحس بك وبخطواتك فى مجاهل كيانى تاثل فواكه قلبى وتشرب من غدير دمى وتستريح على لحاف لحمى وفى دفء عروقى تلمس باصابعى وترى بعينى وتحس باحساسى ..)

ويختم المؤلف المقال بهذه الكلمات :

(أمامك أنا ، فافتح لى بابك أيها الغيب ، فلقد مللت المسير وجف حلقى وليست لى فوارة أرتوى منها سوى فوارة عرقى واعيائى ودهنى وظمئى الشديد الى سرك أيها الرفيق البعيد ، أيها الغيب العميق .)

ويهتز الأديب الصباغ لجمال الطبيعة فى بلاده وهى بشهادة السياح من أجمل بلاد العالم وفى تطوان حيث قضى أيام صباه وجانبا من شبابه يتنقل بين الجبال مخاطبا اياها فى مقال « جبال تطوان » :

فى الصباح أنت أمواج فل ورغى وفى الظهيرة

براكين تقذف جمر القرنفل وفى المساء قوافل من جمال نسير متجهه نحو الغروب وهى تجتر أعشاب النور . كم من مرة وقفت أمام قوافلك وهى تتحرك متئدة متزنه صامتة صابرة ومن حركاتها تتخذ أشكالا وصورا هى عايه فى الروعة والجمال ..)

ويستمر فى الحديث الى أن يقول (فطوبى لك يا جبال بلادى وأنت فى بيتى .. أنـــام كل ليلة على أغرودة علاك وجمالك مستعرضا على ترنيمه اسطوانه تاريخك الذى هو تاريخى وتاريخ تطوان بل وتاريخ الوجـــود ومستمعا الى ســـكينتك الرماديـــة العاليـــة وهمســـاتك المســـننة وأحـــاديث كهوفك وأغـــوارك وما نسلقك وجنح حولك وخطـــا فوقـــك وبنى بيوته وأعشاشه فيك من : طيور ونسور وحيوانات وحشرات فأتخيلك تارة وأنت منكمشة على نفسك خائفـــة من البروق والرعود التى تجرى فوقك وتارة أخرى نمرحين وتداعبين الحجال والأرانب وأنت فى نشوة عارمة معها ومع باقى ناسك .

براكين تقذف جمر القرنفل وفى المساء قوافل من جمال نسير متجهه نحو الغروب وهى تجتر أعشاب النور • كم من مرة وقفت أمام قوافلك وهى تتحرك متئدة متزنه صامتة صابرة ومن حركاتها تتخذ أشكالا وصورا هى غايه فى الروعة والجمال ••)

ويستمر فى الحديث الى أن يقول (فطوبى لك يا جبال بلادى وأنت فى بيتى •• أنـــام كل ليلة على أغرودة علاك وجمالك مستعرضا على ترنيمة اسطوانه تاريخك الذى هو تاريخى وتاريخ تطوان بل وتاريخ الوجـــود ومستمعا الى ســـكينتك الرماديـــة العاليـــة وهمســـاتك المســـننة وأحـــاديث كهوفك وأغـــوارك وما تسلقك وجنح حولك وخطـــا فوقـــك وبنى بيوته وأعشاشه فيك من : طيور ونسور وحيوانات وحشرات فأتخيلك تارة وأنت منكمشة على نفسك خائفـــة من البروق والرعود التى تجرى فوقك وتارة أخرى تمرحين وتداعبين الحجال والأرانب وأنت فى نشوة عارمة معها ومع باقى ناسك •

وكل ما فى بستانى يهش اليك ويطرب حتى سياجه وسع حدوده فنسمل الطبيعة كلها التى تهتز اليك محتفلة بقدومك .

وفى غمره النسوه بلقاء الربيع يعلن (من ينشهد ولادة الربيع ولو مرة فى حياته يعش فى ربيع دائم وفى شباب دائم لا تدركه الشيخوخه .

وانى أدعوكم جميعا الى قمم الجبال فى السنه المقبلة لتشاهدوا ولادة الربيع ولا تسألونى كيف سيولد) .

ويدور الزمن دورته ويأتى الصيف ومن بعده « الخريف » يحمل نباشير النساء وبقلب الشاعر وبريشة الفنان بستقبله المؤلف .

(وشى وشى بالغمام يا ريشة الفضاء سمائى .. وهبى يا رياح وخاصرى الأغصان والأعشاب وارقصى مع الأشجار وانسجى يا شمس على الحقول كفنها ودعى القمر يكتب على ضريحها :

« ماتت شهيدة الجمال وضحية الربيع ، ومن يمت بداء الربيع يولد كل ربيع » .

وأنت يا أمطار قد طالت عطلتك فى المصايف على الشواطىء وفى قمم الجبال فهلا عدت الى غدرانك وأنهرك وسواقيك تحمل لها أوتارها وبضاعة شجوها ؟ .. وهل خلعت على نفسك حلة السراب التى كنت تكتسين بها فى هجير الصيف وقيظه ورجعت الى بذورك وأعشاش ترابك، أنسيت وقد كان رشاشك على موعد مع سقوط الأوراق ؟ .

هل هى الأشجار تذهب الحقول وتوشى مساحات الربى والمزارع بمناديل أوراقها ..)

وكما دعا الناس ليشهدوا ولادة الربيع دعاهم ليخرجوا من مساكنهم ليستقبلوا الخريف (اخرجوا من مساكنكم أيها الناس وافتحوا أبوابها ونوافذها وشبابيكها لهوج الرياح لتعصف بأوراق نقوشها وزخرفتها الكاذبة ومراياها الخادعة المنافقة وأسرتها

ووسائدها ذات الزوايا المبينة والشهوات الزائفة وموائدها المرتفعة بالجشع والنهم .

افتحوها على مصراعيها للرياح لتطوح بأوراقها المريضة وتجنح بها مع أوراق هذا الخريف الى دون رجعة . اخرجوا وسارعوا الى مطهر الرياح وافتحوا لها صدوركم واعرضوا عليها أجسادكم كيما تسقط أوراقكم الذابلة .

اخرجوا ولا تتأخروا لئلا يدخل عليكم فصل الشتاء وأجسامكم مازالت تحمل أوراقها المريضة الصفراء) .

وفى الكتاب حديث عن بعض الأدباء والشعرا المعروفين فى العالم مثل الشاعر اليونانى بالماس والكاتب الروسى انطون تشيكوف والشاعر الأسبانى خوان رامون خيمنث الذى فاز بجائزة نوبل ١٩٥٦ والموسيقار شوبان ونجيبين دو الشاعر الفيتنامى المتوفى سنة ١٨٢٠ والشاعر العربى ايليا أبو ماضى .. ولكنه ليس حديث الناقد الدارس ولا المؤرخ المدقق وانما

حديث الفنان ينبع من القلب ويتجه الى القلب مجتازا أسوار النقد وحدود الدرس الى آفاق رحبة من التأمل •

ومن حديثه عن بالماس بمناسبة الذكرى المئوية لمولده (كل شيء على أتم الاستعداد لاستقبالك أسرابا وأسرابا من حمائم واقفة على بياض أجنحتها تلقط بمناقيرها حبات الزمن ودقائقه منتظرة ساعة قدومك لتجنح الى موكبك وتظلله ببياض هديلها وأنت راكب على غزال تعبر الألحان والأحلام والطيوب وأعراض الألوان وأفراح الأنغام ونجوى البساتين قادما من زمن لا يقاس بالأيام والشهور ومن بلاد لا تحدها الأسوار وبحار فى موقعها ظن الظن •

بلاد هى فى النجمة اذا تلألأت وفى بال الدالية اذا تبرعمت بالفرح وفى قبضة النسيم على خصر السنابل فى المراقص الشقراء •

هى فى بوح الوتر ونوح الوله هى فى جريان الدمعة واشراقة البسمة •

يتحركون أمامنا ومازالت الحياة بصراعها الدائم تحركهم على مشيئتها .

غريبا عن جميع الأجناس والأوطان كان . ومن حدودها ألقى بأصابعه على زوايا الأرض الخمس فوطن فيها اسـمه .

من معدن الرخام كانت عظامه واصلابه ومن مد البحر كانت حياته ومن ذوبان الشـهد فى الخـلايا كان مماته .

لذلك أكدت لكم أنكم لو حفرتم على جمجمته لعثرتم فى تجاويفها على خلية تقطر بالشهد والنحل من حولها فى عرس مع شموع الربيع الملونة) .

ويتحدث المؤلف عن الشاعر ايليا أبو ماضى فيقول عنه انه (شمعة الأرز الذى اشعلته الحياة نورا حـادا فولج مخ الحيـاة وشرايينها المبثوثة فى حـدس الفن متطلعـا الى كنهها وخباياها متعرفـا على أشـواقها وأحلامها مفتحا حواسنا بشرارته لرؤية ما فار حوله من أسرار بنغم نلمس فيه قلبه وقلوبنا أيضا مع حنين يخلق

تلك هى البـلاد التى رفعتهـا على كل البلدان وحصنتها بالأبيض المنيع فى مناهات الظن هأتنذا على بعد خمسة أحلام وحلاوة من فجر .

أحس بخطوات الغزال كنقر الأفـق على جبـل الصباح وانت تنشد أشعارك وتعيدها فيزقزق البياض فى الرخام وتحلم أغصان الدفلى انها عساليج الياسمين وتغنى الطواوبس للمرة الأولى فى حياتها وتنشر ألوانها حدائق وأقواس قزح .

وبتحـدث عن تشيكوف أيضا بمناسـبة الذكرى المئويـة لمولده فعجب من الذين يقولون انه ولد فى ١٧ من يناير عام ١٨٦٠ وأنه عاش ستة وخمسين عاما (.. خطأ تقولون هـذا وتعتمدون عليه فى دراساتكم اهذا الكاتب الذى عاش قبل هذا التاريخ بقرون وقرون وسكن أمصارا وبلدانا غريبة عنى وعنكم وخبر سكانها وأحـوالهم و نفذ الى مشـاعرهم وعواطفهم واهوائهم وميولهم كما عاصر أشخاصا لبسوا من دم ولا لحـم وبعث الى الحيـاة أقواما من طينـة العدم ما زالوا

فينا رغبة مداعبة الأطفال والغزلان ، واحساس يجعلنا نرى سراديب أجسامنا مضيئة كأجسام النجوم وتفاؤل بالحياة يبعث فينا نشوة الرجوع من حيث جئنـا لنولد ولادة جديدة) .

ويختم الحديث عنه بهذه الكلمات (فلبعد التراب الى التراب ولبق الوهج المستعصى على الزمن مضيئا دروب الحياة وفوارتها ــ ولتظل ابتسامته مشرقـة على مبسم الحزين) .

والكتاب أقرب ما يكون الى الشعر المنثور وهو فى مجموعه يسوده طابع التأمل .. المؤلف لا يقبل من الحياة ظاهرها وانما يغوص الى أعماقها بحثا عن كنهها وأسرارها .. وهو فى رحلته هـذه جريا وراء الأسرار ينظر الى كل ما يصادفه نظرة المتفرج الى رواية مسرحية شائقة عجيبة الأحداث . يجهد نفسه فى تحليل شخصياتها ومواقفهـا .

المؤلف ذو حس مرهف وقد أورثه هـذا الحس المرهف نبرة حزن لا تفارقه وهو يتحدث عن نفسـه

وعن الطبيعة وعن البشر وعن كل ما يزخر به الوجود .
وشدة الاحساس بعنصر المأساة فى الحياة هو الخيط الذى يشد معظم مقالات الكتاب هذا الاحساس يبدو ظاهرا واضحا عندما يتحدث عن الموت والخلود وأستار الغيب والأدباء والشعراء الذين رحلوا عن هذا العالم ويستتر أحيانا وراء الألفاظ العذبة والصور الجميلة عندما يتحدث عن الطبيعة .. لكن القارىء يستطيع أن يلمح فى سهولة ويسر من بين ثنايا الألفاظ والصور روح فنان تغنى بالحياة وأعطاها كل شىء ولم تعطه الا « فوارة الظمأ » .

والذى يبدو واضحا من ثنايا الكتاب ان هناك عدة عوامل أثرت فى فكر المؤلف وأسلوبه .

العامل الأول تأثره بفكر شعراء المهجر وخاصة الشاعر ايليا أبو ماضى ـ الذى لم يكتم اعجابه به ـ مما أدى الى أن يشيع فى الكتاب نبرة التأمل التى أشرنا اليها ومحاولة الاهتداء الى فلسفة لرحلة الحياة .. فلسفة يحتاج اليها المفكر والشاعر والأديب

وتكون خير عزاء لهم ويخفف فى الوقت ذاته ما يصحب هذه الرحلة من آلام وأحزان .

العامل الثانى تأثره بالبيئة فجمال الطبيعة النادر فى المغرب هزه من الأعماق وجعله يعشق الطبيعة فى كل صورها عشقا صادقا تستوى فى ذلك قمم الجبال والسفوح .. الحقول والوديان .. الصباح والمساء .. الربيع والخريف .. الصيف والشتاء .. كل ما فى الطبيعة يأسر قلبه .. ويدفعه دفعا الى الامساك بالقلم والتعبير عن خلجات نفسه .

العامل الثالث هو تأثره بالأسلوب العربى الرصين فى مرحلة بداية التجديد فى الأدب العربى — ان صح هذا التعبير — فى النصف الأول من القرن العشرين وخاصة أسلوب الرافعى والمنفلوطى وهذا التأثر يبدو واضحا فى حلاوة اللفظ وجمال العبارة وطلاوة السرد لكن دون تعلق بالمحسنات اللفظية أو البديعية .

والقيمة الأدبية لهذا الكتاب تكمن فى أنه يجمع بين خيال الشاعر المرهف الحس ونبض الفنان الصادق

وأسلوب الأديب المتمكن وأنه يقدم عصير ثقافات متعددة فى لغة عربية جزلة وسهلة وسليمة .

واذا كان هناك ما يؤخذ على الكتاب فهو قصر المقالات وكثرتها فى وقت واحد ولو عنى المؤلف بان يوفى كل موضوع حقه من التعمق والتأمل والدراسة وحذف بعض الخواطر الشاردة التى لا ترقى الى مستوى الكتاب مثل يوميات حب التى أهداها الى ل.م.م اذن لجاء الكتاب على صورة أكثر روعة .
وأخيرا فاننى أتمنى لو يصرف المؤلف جهده أو بعض جهده الى كتابة القصة فان من يملك مثل هذا القلب الذكى والحس المرهف والخيال الخصب والقدرة على التعبير جدير لو أخلص لهذا الفن بأن يكون من طليعة كتاب القصة فى العالم العربى .

فهـــرس

مكتبة الأسرة

بسعر رمزى خمسون قرشاً

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

• إن الشباب هم حملة لواء الغد، وهم الذين سيجابهون تحديات المستقبل ولا سبيل لهم إلا بالتسلح بالثقافة والمعرفة، وهذه السلسلة من «مكتبة الأسرة» موجهة للشباب وقد حرصنا فى الاختيار على تنوع العناوين لتقديم مكتبة للشباب فى السياسة والاقتصاد والعلوم والفكر والفنون .. هذه سلسلة تعنى بتثقيف الشباب فى كل المجالات

«اللجنة العليا لمهرجان القراءة للجميع»